الجواهر

لسماحة الإمام

صلاح الدين التجاني الحسني

صلاة الفاتح

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق

والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق

والهادي إلى صراطك المستقيم

وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

حديث شريف

قال رسول الله ﷺ : إِنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عليه السلام قَامَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ :

«لَا تَتَكَلَّمُوا بِالْحِكْمَةِ عِنْدَ الجَاهِلِ فَتَظْلِمُوهَا ،

وَلَا تَمْنَعُوهَا أَهْلَهَا فَتَظْلِمُوهُمْ»

رواه ابن عبد البر وعبد بن حميد والحاكم وصححه

يا رب جوهر علم لو أبوح به | لقيل لي : أنت ممن يعبد الوثنا

ولاستحل رجال مسلمون دمي | يرون أقبح ما يأتونه حسنا

إني لأكتم من علمي جواهره | كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا

الجوهرة الأولى

أصل الخلق

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ {الحجر : ٢١} .

إذا أُضيفت (العندية) إلى (نا) الألهية ؛ لم تعد ظرف زمان ولا مكان ، وإنما ظرف مكانة .

وما من شيء إلا وكان مخزوناً مكنوناً ثابتاً في خزائن علم الله الأزلي .

فالله تعالى خلق وجوداً عن وجودٍ ، ولم يخلق وجوداً عن عدمٍ .

بل كل شيء كان في خزائن غيبه تعالى ، لا يعرف نفسه بنفسه .

فإذا أراد الله له أن يخرج من شيئية الثبوت إلي شيئية الوجود ؛ ظهر بالله للخلق : ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ {النحل :

٤٠} ، فالله تعالى قد توجه بـ (كن) لشيء ثابت في خزائنه ، لا لشيء معدوم ، والكل له مشهود على التفصيل في حالتي الثبوت والوجود .

فمن قال إن الصدور بعد الورود فما عنده علم بحقائق الوجود .

فلولا نحن ثابتين في القِدم ؛ ما صحَّ أن تحوي علينا خزائن الكرم .

الله لا يحويه ظرف زمان   كلا ولا يحويه ظرف مكان
والكل عند الله شيء ثابت   ما ثمَّ معدوم لديه وفاني
والكل عند الله حاز مكانة   وخزائن العلم القديم مغاني
والكل موجود لديه وحاضر   والله ناظره بعين حنان
والكل مشهود لديه وسامع   في حضرة العلم القديم الحاني
في حضرة التحنان فاضت رحمة   في قول (كن) وبها عظيم الشان
ظهرت بها كينونة الأشياء   بعد ثبوتها ، في ذا الوجود الثاني
وبها تعرف كل شيء نفسه   وبها استقام الكون بالأكوان
وإرادة الله القديمة أظهرت   ما كان موجوداً ، لكل عيان
فالكل منه إليه فيه قد ارتقى   (ما ثمَّ إلا الله) حق بيان

ما ثمَّ لله موجود ومنعدم إذا نسبت إليه العلم بالعدم

فكل شيء له عين الشهود وإن أراده فض سراً غير منكتم

عندية الله ليست ظرف ذي زمن ولا مكان وهذا غاية الحكم

بل للمكانة فافهم كنه (نا) وخذ الـ علوم من أصلها عن عرب ذي سلم

لم يخلق الله هذا الكون عن عدم بل عن وجودٍ بعلم الله منحسم

خزائن الغيب كانت كل عالمه والله يخرج منها الخلق بالكلم

شيئيتان فهذي للثبوت وذي إلى الوجود نمت عن حضرة القدم

لو لم نكن ثابتي الأكناه في قدم لما احتوتنا خزانات من الكرم

فافهم وصل على روح الوجود ومَن علومه قبل علم اللوح والقلم

الجوهرة الثانية

العصمة

الخلق كله معصومٌ عن مخالفة إرادة الله فيه .

فمن تعرض لتجليات اسمه الهادي فقد عصمه عن الضلال .

ومن أصابته تنزلات اسمه المضل فقد عصمه عن الهداية .

قال تعالى : ﴿ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾ {المدثر : ٣١} .

والهُدى هو حبل الله : ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا ﴾ {آل عمران : ١٠٣} .

ثم إنه تعالى يتفضل على من يشاء بالحب ، فيعصمه عن الهدى ، كما يعصمه عن الضلال .

فالحب هو عصمة العصمة : ﴿**وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ**﴾ {الحج : ٧٨} . وما بين (**حبل الله**) وبين (**الله**) كما بين (**المخلوق**) و (**الخالق جل في علاه**) !

الخلقُ كلُّ الخلقِ معصومُ وكلُّ ما قدَّر الرحمنُ محتومُ

إرادة الله نافذةٌ بلا حُجُب والكلُّ فيها مطيعٌ وهو محسومُ

فمن هداه اللهُ معصومٌ برحمته ومن أضلَّ عن الإرشاد معصومُ

ومَن شاءَ إضلالَهم ضلوا بلا عنت ومَن شاءَ الهدايةَ فيه فهو مرحومُ

وما لمن ضلَّ حيلةٌ إذا سبقت إرادةُ اللهِ فيهِ فهْو محرومُ

والقلب بين أصابع الرحمن منقلب ما بين أضدادِ التجلّي وهو محكومُ

بالقبضِ والبسطِ والإضلال ثم هدى يقضي الإله قضاءً فهو محتومُ

والناس في الوصل أجياد مسارعةٌ فالسابقُ الواصلُ والمسبوقُ منظومُ

فمن هداهم بحبل الله معتصم ومن يعتصم بالله محفوظٌ ومعصومُ

أهل المحبة أهل الله خاصّته لهم من الله إمداد وتنعيمُ

تلك الإرادةُ سرُّ الله ، ما انكشفت إلا لقوم بسر الله قد هاموا

وليس ينفع عبداً عند سيده إلا اعترافٌ وإقرارٌ وتسليمُ

الله قدر حتى الأخذ بالنفس ودبة النمل فوق الرطب واليبس

وكل شيء على أقدار حكمته جرى كما خطه في لوحه القدسي

فلو تخلف شيء عن مشيئته مثقال وهم لزال الكون في نفس

وما تضاءل شيء في مداركنا إلا وكان جليل القدر والمرس

كساه ربك من أثواب عزته نوراً يضيء ربوع الكون في الغلس

سرادقات تجليه إذا ضربت فليس ثمت إفلات لمختلس

أحاط سور الهدى الأكوان فاعتصمت عن الضلال وضل الفهم فاحترس

فالكل ذو عصمة عن خرق ما كتبت يد الإرادة من طيب ومن دنس

عن الضلال أضل المهتدين فما لهم إلى النور إلا السير للقبس

وللضلال هدى فاسم المضل له على المضلين حكم غير منحبس

ضلاله وهداه عين حكمته وجهان لاسم عظيم الجاه والندس

له التجلي على كل الوجود فما إلا تجليه في وحش وفي أنس

وإنه الله في صوت المؤذن أو   في نفخةالبوق أو في دقة الجرس

فسلم الأمر تسلم من غوائله   فالخلق والأمر شأنا حضرة القدس

الجوهرة الثالثة

الأبعاد

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ {الحجر : (٢٦ – ٢٨)} .

ذكر الله تعالى في هذه الآيات الكريمة أصل العناصر التي خلق منها الإنسان والجان ، ثم ذكر الملَك .

الإنسان خُلِق من طين ، ولكنه الآن ليس بطينٍ .

والجان خُلِق من نارٍ ، ولكنه الآن ليس بنارٍ .

والملائكة خُلِقت من نورٍ وهي الآن ليست بنورٍ .

وكل مخلوقٍ من هذه المخلوقات يعيش في بُعْد خاصٍّ به :

- **فالإنسان** كجسم يعيش في أربعة أبعادٍ رئيسيةٍ : الطول والعرض والارتفاع والزمن الذي يجري به إلي المستقبل ، ولا يستطيع إيقافه أو الرجوع به إلى الماضي ، ولكنه يستطيع تسريعه بجلوسه مع من يحب ، ويستطيع إبطاءه بجلوسه مع من يكره (نسبية أينشتين) .
- **والجن** يعيش في بعد أعلى ، ولذا فنحن لا نراه ، وهو يرانا ، كأجسام .
- **والملائكة** تعيش في بعد أعلى ، ولذا هي ترى الجن ، والجن لا يراها في صورتها الأصلية إلا إذا تشكلت على صورة من الصور : ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ﴾ {الأنفال : ٤٨} . قالها إبليس حين رأى الملائكة يوم بدر على صورة فرسان على خيولهم .

والبعد الذي تعيش فيه الملائكة ينعدم فيه الزمان ، لأنهم يسيرون بسرعة تساوي سرعة الضوء خمسين مرة : ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ {المعارج : ٤} . وقد أثبت العلماء بالحساب أن سرعة الضوء تساوي ما مقداره ألف سنة ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ {الحج : ٤٧} .

ولكن الإنسان قد اختصه الله تعالى بروح منفوخة من لدنه ، وهذه الروح قد حوت على كل الأبعاد ، ولا تحتويها الأبعاد .

وكيف تحتويها الأبعاد وهي بيت الله المقدس عن الزمان والمكان ؟

والروح الإنسانية المجردة ترى كل شيء ، حتى أنها ترى الله يقظة ، ولا يراها إلا الله تعالى .

كما اختص الله تعالى الإنسان بعالم الخيال ، حيث يستطيع أن يخلق في

خياله ما شاء ، كيفما شاء ، أينما شاء ، ويقول للشيء (كن فيكون) ويقول له : (زُل فيزول) وهذا بُعْدٌ لا تستطيعه الملائكة ، ولا يستطيعه الجن ، فليس لهما خيال ، ولا يستطيعون إبداعاً .

فالملائكة : ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ {النحل : ٥٠ ، التحريم : ٦} .

والجن : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ﴾ {سبأ : ١٣} ، هؤلاء هم جن نبي الله سليمان عليه السلام ، فهو يتخيل ويشاء ويبدع ، وهم ما عليهم إلا التنفيذ وحَسْب .

فالروح الإنسانية هي ما بَعْد بُعْد الأبعاد !

زكاك ربك يا إنسان زكاكا — وعلى جميع الخلق قد أعلاكا
فلأنت إنسان الوجود وروحه — لولاك ما قدر الرحمن أفلاكا
أنت المكرم والمفضل منحة — لم يؤتها المولى الكريم سواكا
إن كنت من طين خلقت فقد بدا — شرف اليدين ومن به سواكا
والجن من نار السموم تسومت — والله من نور برى الأملاكا
إن كنت لا تسطيع رؤية جنة — ماذا يضيرك حيث كان يراكا
والجن يعجز أن يرى - إلا إذا — هي شكلت في صورة – أملاكا
إن كنت في الأبعاد صرت مقيدا — فلقد حباك بنفخة مولاكا
طول وعرض وارتفاع حاكم — أحكام جسمك في الورى وسراكا
وأراك تسرع في الزمان لفرحة — ولئن حزنت فلن يطيق حراكا
هي نسبة قد صاغها أينشتين — حيث الزمان بدوره أجراكا
وإذا الملائك في الوجود تحركت — عدم الزمان فلا زمان هناكا

واهاً لقدرك يا ابن آدم إنه … شرف من الرحمن قد وافاكا

لما حباك بنفخة من روحه … سجد الملائك كلهم لسناكا

وبسر تلك الروح صرت خليفة … لله وحدك لم تكن لسواكا

والقلب أصبح بيت ربك قدسه … وسع الزمان كذا المكان ضياكا

والروح أضحت من لدنه قديرة … وبصورة الرحمن قد جلاكا

فغدوت تسمعه تراه بنوره … والله بالمدد العظيم رعاكا

ولقد وهبت من الخيال كماله … والجن والأملاك ما ساواكا

إن قلت (كن) أو قلت (زل) تحققاً … فالكون طوع يديك، من أسراكا

والجن والأملاك تفعل ما به … أمرت ، ولا تسطيع بعد فكاكا

لو لاح نورك في الوجود لأشرقت … شمس الحقيقة من سماء ضياكا

وإذا رحلت عن الوجود فلن ترى … أثراً له من بعد فقد سناكا

أنت الذي لولاك ما خلق امرؤ … كلا ولا خلق الورى لولاكا

كتبت جواهراً فنظمت درًّا أقلده من الدهر التريبا
فعن أصل الخلائق قلت قولاً يحير سره الفطن الأريبا
فخلق الإنس من طينٍ وماءٍ ومن خاض البحار فلن يذوبا
وخلق الجن من نارٍ ولكن يخاف النار تشهق واللهيبا
ومن نور لطيف كان خلق الـ ملائكة الكرام ندى وطيبا
فهذا كله في أصل خلقٍ تحول شأنه شأوا رهيبا
يعيش الإنس أبعاداً فطول وعرض وارتفاع لن يريبا
وبعد رابع زمن عجيب يبدل رونق الشبان شيبا
يطول إذا لقيت به عدوا ويقصر إن لقيت به حبيبا
يرانا الجن لكن لا نراهم فهم في خامس بعدا قريباً
وبعد سادس فيه استقلت ملائكة السماء بأرض طوبى
به انعدم الزمان فلا زمان يظل بها ينغصهم مشوبا

وتبقى الروح للانسان سرا حوى الأبعاد واكتنف الغيوبا
له الإبداع في خلق وخلق ومن وصف البديع حوى نصيبا
ويفعل بالتخيل كل شيء ويسلك بالخيال له ضروبا
فيحيي أو يميت ولا يبالي ولا تحوي صحائفه الذنوبا
هو الإنسان سر الله فيه ونفخة قدسه فأتى عجيبا

الجوهرة الرابعة

الفراغ

قال تعالى : ﴿ سَنَفۡرُغُ لَكُمۡ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴾ {الرحمن : ٣١} .

غاية الحب أن يتنزل ربنا لنا بصفة الفراغ ، وهي من أعظم النعم ، أن لا ينشغل ربك بسواك ، مع أن الله تعالى لا يشغله شيء عن شيء ، إلا أنه يُطَمْئن أحبابه الذين يريدون وجهه ، بأن وجهه تعالى سيكون خالصا لهم : حُبًّا ، وقُرباً ، وإقبالاً ، وتلطُّفاً ، وأُنساً ، وجمالاً .

واعتبرها الله تعالى من نعمه العظمى ، حيث قال بعدها : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ {الرحمن : ٣٢} .

فالحب لا بد له من فراغ بين المحبين قلباً وقالَباً وروحاً .

فراغ من كل شيء إلا الحب .

مرحباً بعبدي الفارغ من كل شيء .

تفرغ لله من كل شيء : من علمك وعملك ، وعقلك وادعاءاتك ، ومقاماتك وأحوالك . تجد الله متفرغاً لك وحدك ، وفي انتظارك ابتداءً .

حب بلا فراغ لا يعول عليه !

سوى حسن وجهك لم يحل لي　　　وغيرك في القلب لم يحلل

ولي في هواك غرام صحيح　　　وغير هواكمو ما حل لي

تراكم عيوني بكل الوجود　　　وغيرك في العين ما حل لي

وقلبي : هواء سواء فراغ　　　ولو لاح غيرك ما راق لي

فشرع المحبة قلب فراغ　　　مليء غراما بمن رق لي

كقلب ام موسى أتى فارغا　　　فمن الإله بربط علي

فأبشر فؤادي بقول كريم　　　أتى في القران بمعنى جلي

(سنفرغ) فيها وداد ولطف　　　به بدء خير من الأول

وفي (الرحمن) جاء بآلائه　　　تفيض بجود لعبد خلي

فسارع وسابق ونافس تجد　　　من الاقبال ما لا يعقل

تفرغ لمن تهواه ترى　　　عطاء الإله به ينجلي

وأقبل ودع عنك كل السوى　　　فما للمحب سوى الأول

تفرغ لمن تهوى ولا تنشغل بما　　سواه فإن الشغل أكبر زلة

فما كره المحبوب من ذنب عاشق　　كلحظة شغل عن هواه بلفتة

ألم تر أن الله فرغ نفسه　　لحبك عن كل الوجود بنظرة

تفرغ إقبال ولطف ورحمة　　يبدد بالإيناس آثار وحشة

فلا هو مشغول ولا متفرغ　　ولكن تجلى للفهوم بحكمة

سنفرغ في الرحمن من بحر حبه　　لذا قال آلائي ومن برحمة

فكن فارغا من كل شيء فإنه　　سيلقاك إن فرغت من كل رغبة

هو الوتر لا يرضى سوى الوتر من أتى　　إليه بشفع رده شر ردة

الجوهرة الخامسة

الإنباء

قال تعالى : ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّيَ أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ {الحجر : ٤٩} .

كلمة ﴿ نَبِّئْ ﴾ هنا مقصودةٌ جداً .

فكل مَنْ قَبِلَ عن رسول الله ﷺ إنباءه عن الله أنه واسع المغفرة ، شامل الرحمة ، فقد حاز مرتبة من مراتب النبوة .

وهي مرتبة أوسع من المبشرات التي هي الرؤيا الصالحة ، والتي هي جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة (١) .

١- قال رسول الله ﷺ : «**الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وهي مرتبة مقدمة على مرتبة العلم ، الذي يجعل صاحبه يأتي يوم القيامة في مصاف الأنبياء : قال ﷺ : «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ» (١) . ذلك لأن قبول الرحمة مقدم على العلم اللدني ، قال تعالى : ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ

١- روى الترمذي وأبو داود وابن ماجة وأحمد عَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ ، قَالَ : كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ فِي مَسْجِدِ دِمَشْقَ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ : قَالَ : فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ ؟ قَالَ : لَا ، قَالَ : فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا ، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»

عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ {الكهف : ٦٥} .

التعبير بـ ﴿أَنِّىٓ أَنَا﴾ {الحجر : ٤٩} . هو إنباء عن وترية الألوهية وهي غير التعبير بـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ الوارد في قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ {الحجر : ٩} . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴾ {مريم : ٤٠} . وقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ {يس : ١٢} .

التعبير بـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ ﴾ يدل علي شفعية صفات الربوبية . وما بين الألوهية والربوبية بون عظيم .

﴿ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ {الحجر : ٥٠} ، هذه واو العطف . ولما كان العذاب لايعطف به على الرحمة ، إلا أن يكون هو في باطنه رحمة ، فكأن الله تعالى قد أخبر أن لديه عذابا في خزائن غيبه ، تحذيراً

للعباد الذين لايصلحهم إلا الترهيب ، من باب رحمته ورأفته بهم ، فليس من أسمائه تعالى المعذِّب .

فهو رحمة باطنة معطوفة على رحمة ظاهرة .

اللهم قد قبلنا هذا الإنباء الإلهي الشريف ، بكل ماتقتضيه سعة الرحمة وعموم المغفرة .

(نبئ عبادي) سدرة التكريم نزلت بخير للوجود عميم
نزلت من الرحمن في رحموته والرحمة المهداة خير قسيم
(نبئ) فذا خبر عظيم قدره فاق المراتب في بهي علوم
(أني أنا) سر الألوهة ظاهر في لفظ وتر جاء للتعظيم
و (إنا نحن) سر شفع ربوبة وبون الرتبتين جد عظيم
رب غفور للجميع تفضلا والكل مشمول بسر رحيم
فاقبل من المختار تحظ برتبة لنبوة من غير ذي تكليم
تلك النبوة رتبة شرفية من رحمة سبقت لدن علوم
واذكر بها خضراً أتى بعجائب دهشت فؤاد المصطفى وكليم
آتاه ربك رحمة من عنده من قبل علم من لدنه عليم
وصوالح الرؤيا أتت بنبوة من أربعين وستة بقسيم
أما العذاب ففي خزائن غيبه للردع ولتخويف أي أثيم

أما العذاب فذاب في رحموته ... ما ثم إلا رحمة التنعيم

حاشا يسمي بالمعذب ربنا ... ومزاج رحمته من التسنيم

هي رحمة بطنت بذكر عذابه ... من بعد ظاهر رحمة التكريم

محمدٌ كان فضلا	والكون باغ ظلوم
لولاه ما كان كون	ولا أنارت نجوم
ولا انجلت وتجلت	عن القلوب الهموم
هو النبوة ذاتاً	والوصف فيه قديم
ولا نبؤة إلا	والخبر أمر عظيم
لذا فأمة طه	بهـــم تتيـه الفهوم
حازوا النبوة فضلاً	وسرهم مكتــــوم
حتى تمنى هداهم	موسى النبي الكليم
فرحمة الله فيهم	تلي سناها العلوم
أن السخاء الإلهي	على الوجود عميم
يفوق كل خيال	من رامه لا يريم
ما في الوجود وجود	من عفوه محروم

في باطن الأمر لطف ... والله بـــر حليــم

والاسم قيل عذاب ... على المسيء أليـــم

حتى يرهب منا ... من في الضلال يهيم

ومن أطاع ولبى ... فجنـــة ونعيـــم

فقال في الحجر قولاً ... هو الرجاء العظيم

﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ ... أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

وليس يقبل هذا ... إلا نبي كريــــم

الجوهرة السادسة

الترغيب والترهيب

قوة الدوافع تؤدي إلى سرعة المنافع .

وتلك فطرة الله التي قد فطر الناس عليها .

الخوف من شيء دافع للبعد عنه .

الرغبة في شيء دافع للحصول عليه .

وهو ما يُعرف في الإسلام بالترغيب والترهيب .

وإذا كان الترغيب والترهيب هو الشرع ، فالحب هو شرع الشرع .

وحب بلا عمل أفضل من عمل بلا حب .

وحب وعمل أفضل منهما .

- **البُعْد الأول : الترغيب .**

قال ﷺ : «**إِنَّ اللهَ لَيُضَاعِفُ الحَسَنَةَ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ**» (١) .

وقال ﷺ : «**صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا المَسْجِدَ الحَرَامَ ، وَصَلَاةٌ فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ**» (٢) .

وقال : «**صَلَاة فِي مَسْجِدي تعدل بِعشْرَة آلَاف صَلَاة ، وَصَلَاة فِي المَسْجِد الحَرَام تعدل بِمِائَة ألف صَلَاة ، وَالصَّلَاة بِأَرْض الرِّبَاط تعدل بألفي ألف صَلَاة ، وَأكْثر من ذَلِك كُله الركعتان يُصَلِّيهمَا العَبْد فِي جَوف اللَّيْل ، لَا**

١- روى أحمد في مسنده عَنْ أَبِي عُثْمَانَ النَّهْدِيِّ ، قَالَ : أَتَيْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ : إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقُولُ : إِنَّ الْحَسَنَةَ تُضَاعَفُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ . قَالَ : وَمَا أَعْجَبَكَ مِنْ ذَلِكَ ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ سَمِعْتُهُ - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ : كَذَا قَالَ أَبِي - يَقُولُ : «**إِنَّ اللهَ لَيُضَاعِفُ الحَسَنَةَ أَلْفَيْ أَلْفِ حَسَنَةٍ**» .

٢- رواه أحمد وابن ماجة .

يُرِيد بهما إِلَّا مَا عِنْد الله عز وَجل» (١) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ {الزمر : ١٠} .

وأمثال ذلك الفضل العظيم كثير في الإسلام .

وتلك وعودٌ قد ضمنها الله تعالى لعباده .

ومادام وعدٌ ؛ فإن الله أوفى وأكرم من أن يخلف وعداً وعده : ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ ﴾ {الروم : ٦} ، ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ وَعْدُهُۥ مَأْتِيًّا ﴾ {مريم : ٦١} ، ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ {الزمر : ٢٠} .

فخلق الله تعالى أهل الترغيب لإظهار فضله وكرمه وجوده في وجوده .

أظهِر لي حسنةً في الوجود ، وأنا أغدق عليك من خزائن الجود .

- **البعد الثاني : الترهيب .**

فقد ورد الكثير من آيات العذاب في جهنم ، وما أعده الله فيها من أنواع

١- رواه أبو الشيخ في الثواب .

النكال ، وهذا وأمثاله وعيد شديد للترهيب .

والله تعالى أكرم من إنفاذ وعيده .

وقد خلق الله تعالى أهل الترهيب ليُظهر فيهم أقصى صفات مغفرته ورأفته ورحمته !

قال ﷺ : «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**» (١) .

والله تعالى لا حاكم عليه ، فلو شاء أدخل جميع عباده الجنة بلا عمل ، تفضلاً منه ورحمة . ولو شاء لأدخلهم جميعا النار ، عملوا ما عملوا ، بمحض عدله جزاءً وِفاقاً .

- **البُعد الثالث : الحب .**

فدائرة أهل الخدمة والعُبَّاد والنُّسَّاك والزهَّاد ؛ هي دائرة الحسنات والسيئات ، والترغيب والترهيب .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

أما دائرة أهل المحبة ؛ فهي دائرة من وراء كل الدوائر ، فهي أوسع بعداً ، وأعظم دائرةً . هي مرتبة تسامت عن كل المتضادات ، وتوحدت في الحب .

الحب وترٌ ، والله وتر يحب الوتر (١) .

ولا يخفى على أحدٍ أن حب الجمال هو السائر بالرجال في كل حال .

وهو الدافع لهم لخوض بحار الجلال .

فرغَّب الله عباده لرؤيته والنظر إليه : «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ**» (٢) . ثم رغبهم في التسامي بحواسهم حيث أيقظ شعورهم للتفاعل مع أدني جمال يظهر في الكون فقال : «**يُحِبُّ الجَمَالَ**» (٢) .

١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «للهِ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ اسْمًا ، مِائَةٌ إِلَّا وَاحِدًا ، لاَ يَحْفَظُهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَ الجَنَّةَ ، وَهُوَ وَتْرٌ يُحِبُّ الوَتْرَ» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٢- قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ**» رواه مسلم في صحيحه .

وعلى قدر معرفة الرجال ، يتضاعف الإحساس بالجمال .

نظر رسول الله ﷺ إلى عمه العباس ﷺ ، وأطال النظر إلى وجهه ، فسأله العباس ، فقال ﷺ له : «**أَعْجَبَنِي جَمَالُكَ يَا عَمِّ النَّبِيِّ**» (١) .

وأهديت إلى رسول الله ﷺ عباءة ، فصلى فيها ، ثم خلعها بعد الصلاة ، وردها إلى أبي جهم بن حذيفة ﷺ وقال «**فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا فِي صَلَاتِي**» (٢) .

١- عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ ، قَالَ : أَقْبَلَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ ، وَلَهُ ضَفِيرَتَانِ ، وَهُوَ أَبْيَضُ بَضٌّ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ تَبَسَّمَ . فَقَالَ لَهُ الْعَبَّاسُ : مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ الله ، أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ ؟ قَالَ : «أَعْجَبَنِي جَمَالُكَ يَا عَمِّ النَّبِيِّ» ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ : مَا الْجَمَالُ فِي الرَّجُلِ يَا رَسُولَ الله ؟ قَالَ : «اللِّسَانُ» . رواه أحمد في فضائل الصحابة والسرقسطي في غريب الحديث وابن عبد ربه في الغيلانيات وابن عساكر في تاريخه وهو حديث رقم ١٧٣٧٣ في كنز العمال .

٢- عَنْ السيدة عَائِشَةَ ، قَالَتْ : قَامَ رَسُولُ الله ﷺ يُصَلِّي فِي خَمِيصَةٍ ذَاتِ أَعْلَامٍ ، فَنَظَرَ إِلَى عَلَمِهَا ، فَلَمَّا قَضَى صَلَاتَهُ قَالَ : «اذْهَبُوا بِهَذِهِ الْخَمِيصَةِ إِلَى أَبِي جَهْمِ بْنِ حُذَيْفَةَ ، وَائْتُونِي بِأَنْبِجَانِيِّهِ ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي آنِفًا فِي صَلَاتِي» رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

وذلك لشدة إحساس رسول الله ﷺ بالجمال .

قال تعالى : ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ {النساء : ٣٦} .

وأسمى العبادة الحب .

والحب ليس له جزاء إلا الحب : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ {المائدة : ٥٤} .

كل عمل ينتهي بالموت إلا الحب ، يزيد وينتعش بالموت .

كلٌّ لفضلك راجع او مُرجَعُ رغباً ورهباً كلهم لك راجعُ
كلٌّ بذكرك ناطق و مسبحٌ والكل في محراب أمرك راكعُ
والوعد منكم صادقٌ ومحقَّقٌ ووعيدكم من جود فضلك موسَعُ
بِـ (ألا تحبون) الكرام قد ارتجَوْا عفواً و غفراناً و فضلك واسعُ
رغَّبتَهم بمزيد أضعافٍ لهم وقلوبهم في الفيض منك طوامعُ
وأخفت بالترهيب قوماً فانتهَوْا عما نهيت وكلهم لك خاضع
فمقامع الترهيب منك روادعٌ وبهنَّ مُزْن المغفرات لوامعُ
فالقوم في حكم الشرائع قد عَصَوْا لكنهم للأمر منك طوائعُ
والكل مشمول بسابق رحمة سبحانك اللهم ضارٌ نافعُ
لو شئتَ أدخلتَ العباد جميعَهم جناتِ جودك وهْو جودٌ واسعُ
أو شئتَ أدخلتَ الجميع جهنماً فالأمر أمرك ليس فيه منازعُ
قوم أَتَوْك برغبةٍ أو رهبةٍ وأتاك بالحب الكريم مسارعُ

والحب شرع الشرع وهْو لُبابهُ والحب سرٌ للمحبة شافع

والحب من خلف الدوائر كلها فضل عظيم ليس فيه تصارعُ

فالحب وترٌ والإله يحبه فالله وتر و الجميع شوافعُ

والحب من بحر الجمال فيوضُهُ وخواصّ أهل الله منه ضوالعُ

أرواحهم في ذا الجمالِ نواظر وقلوبهم من ذا الجميل سوامعُ

ذاقوا الجمال بكل شيء معجِبٍ فإذا الجميل بكل شيء طالع

قوم أحبهم الإله بداءةً وقلوبهم بالحب فيه توابعُ

فالحب بالحب الجميل جزاؤه والحب تاجٌ بالجواهر ساطعُ

الكل يفنى، كل شيء هالك إلا جمال الوجه فهو النافع

والحب من هذا الجمال بقاؤه وهْو المرادُ، إليه منه المرجعُ

أوامر الشرع ترغيب وترهيب ... والناس صنفان مأمور ومحبوب

فالأمر والنهي للتشريع قد نسبا ... والشرع للحب عند الله منسوب

لذاك فالحب شرع الشرع من ظفروا ... به فليس عليهم ثم تسريب

فالحب يغنيك عن علم وعن عمل ... وليس يغنيك شيء عنه مكسوب

هي العناية إن أنوارها سبقت ... فالإثم مغتفر والذنب محجوب

والحب والفعل إن في واحد جمعا ... فهو المراد الذي يمحى به الحوب

فذو الشريعة يمسي طالبا وجلا ... وذو المحبة للرحمن مطلوب

لولا الدوافع في الدنيا وقوتها ... لما تحرك في الأكوان مربوب

وكم يرغب بالتضعيف في حسن ... وكم يرهب ذنبا وهو مكتوب

كأنما الله لم يخلق ذوي رهب ... إلا ليظهر عفوا فيه تقريب

ولا لترغيبه إلا ليظهر من ... خزائن الجود إن الجود موهوب

حتى العذاب وإن جاء الوعيد به ... قد لا ينفذ ما في الأمر تكذيب

إن الكريم بإخلاف الوعيد له | من سابق الفضل قبل الخلق محسوب
سبحان من قهرت بالذنب عزته | قوماً وناداهم بين الورى توبوا
واختص من خلقه قوماً بطاعته | والمنح والمنع إصلاح وتهذيب
لكن دائرة الأحباب أوسع من | كل الدوائر فيها الكل مغلوب
بدا الجميل لهم بالسر فانجذبوا | فالكل نحو جمال السر مجذوب
بيوسف ظهرت من حسنه صور | فهام من بطشة الأشواق يعقوب
أما جمال أبي الزهرا فيوسف في | أنواره غارق واللب مسلوب
هذي علوم أمير المؤمنين علي | ومن لكل علوم الحق يعسوب

الجوهرة السابعة

الجسور و الحروف

كل العلوم والنظريات والقوانين والاختراعات كانت خيالاً .

ثم يأتي عالمٌ أو غير عالمٍ بقصدٍ وبدون قصدٍ ، فيظهر الله على يديه جسراً يعبر به من الخيال إلى الحقيقة . فيجعل ذلك الخيال البعيد حقيقةً قريبةً .

ومن أهم تلك الجسور خمسة :

- **الجسر الأول** : قوانين نيوتن الثلاثة ، حيث وضع أسس الميكانيكا الكلاسيكية من سرعة ومسافة وزمن ، والتي ربط بها بين السماء والأرض ، واكتشف الجاذبية ، وهي أول قوة .

- **الجسر الثاني** : فاراداي ، الذي اكتشف القوي الكهربائية والمغناطيسية ، وربط بينهما في موجات كهرومغناطيسية ، ثم جاء ماكسويل ليقيس سرعة تلك الموجات ، فإذا بها سرعة الضوء ، ووضع ثماني معادلاتٍ ، هي ثمانية جسورٍ ، استطاع بها قياس الطاقة الهائلة الناتجة عن تلك الموجات .

- **الجسر الثالث** : هو اكتشاف أينشتين لقوانين الذَّرَّة ، وربطه بين الزمان والمكان ، ونظرية الكم ، والانحناء الزمكاني ، ووضع نظرية فك بها شفرة الكون : (**الطاقة = الكتلة × مربع سرعة الضوء**)
حيث ربط فيها بين معادلات نيوتن القائمة على المسافة والسرعة والزمن ، ومعادلات ماكسويل والتي تقيس كمية الطاقة الكهرومغناطيسية المنبعثة من الفوتونات والجسيمات ، وهذه كانت أعظم المعادلات على الإطلاق .

- **الجسر الرابع** : هو اكتشاف المادة السوداء ، والطاقة السوداء ، وأنهما يمثلان ٩٦٪ من كتلة الكون ، وجميع كتلة الكواكب والنجوم والمجرات لا تتعدى ٤٪ من كتلة الكون .

- **الجسر الخامس** : هو اختراع القنبلة الكهرومغناطيسية ، وهو نوع من القنابل لا يؤثر على الإنسان ولا الحيوان ولا النبات ، ولكنه سيقضي وبشكل نهائي وقاطع على كل ما هو مظهر من مظاهر الحضارة التي بناها الانسان على وهم من الأمواج الكهرومغناطيسية فلا كهرباء ولا حضارة ولا أسلحة ولا رادارات و لا مصانع و لا كمبيوتر .

و يظل موكب العلماء يلهث يوما بعد يوم وراء المادة والطاقة والخيال والحقيقة ، ولكنهم لايعلمون إلي أين ؟

لابد من قانون يربط كل هذه القوانين ، ويضع نهاية لهذا الصراع المتسارع العنيف . قانون كل شيء . وذلك هو القانون الآخير الذي

سيقود البشرية إلى خالقها ، و بدونه ستظل الإنسانية تدور في حلقة مفرغة : ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ {النجم : ٤٢} .

القانون الأخير هو الحرف .

نعم هي الحروف !

كل الخلق كان مسطوراً في اللوح المحفوظ ، بجميع تفاصيله وأقداره ؛ قال ﷺ : «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ**» (١) .

واللوح المحفوظ ذاته ذو بعدين : طول × عرض .

ثم تخرج منه الأقدار والخلائق على ثلاثة أبعاد وأربعة وخمسة .

فيتصور الإنسان و يتشكل الجان ويتمثل الملاك .

فاللوح المحفوظ هو الكون الحقيقي ذو البعدين .

---

١ – رواه مسلم في صحيحه .

ونحن الآن هو كون افتراضي ، ينتهي في أي لحظة ، ليتحول إلى كون افتراضي جديد ، وبشكل آخر ؛ كالهالوجرام . ليتشكل من نفس الحرف خلقاً جديداً ، بشكلٍ جديدٍ ، في أبعادٍ جديدةٍ ، سواء في البرزخ أو في المحشر ، سواء في الجنة أو في النار .

أما كونك الحقيقي ؛ فهو حرفك المسطور ، ورسمك المرقوم في اللوح المحفوظ ، كما كتبه علم الله القديم ، بقلم القدرة العظيم .

قال تعالى : ﴿ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ﴾ {الطور : (٢ – ٣)} ، والرَّق المنشور : هو الجلد المفتوح المعد للقراءة والكتابة ، وحرفك هذا هو (عجب الذنب) . قال ﷺ : «**كُلُّ ابْنِ آدَمَ يَأْكُلُهُ التُّرَابُ ، إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ ، مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**» (١) ، فلا يبلى لأنه حرفك ، محفوظ في اللوح المحفوظ ، كل شيء يبلى منك إلا هو . انظر إلى دقة قوله ﷺ :

١- رواه مسلم في صحيحه .

«**مِنْهُ خُلِقَ وَفِيهِ يُرَكَّبُ**» لأنه شفرتك ، والأرض تأكل منك كل شيء إلا هو لأنه ليس أرضيًّا بل سماويٌّ : ﴿**كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ**﴾ {الأعراف : ٢٩} .

والتعبير بكلمة : عجب الذنب ، يدل على أن ملخص حياتك محفوظ في حرف صغير ، مثل صغر عجب الذنب ، وهي العظيمة الصغيرة في آخر العصعص .

[الٓمٓ الٓمٓر الٓر حمٓ عٓسٓقٓ طه طسٓمٓ قٓ يسٓ نٓ]

والحروف كثيرةٌ ، لا أول لها ولا آخر ، وليست محدودةٌ بعددٍ ، بل لا نهائية ، فعلم الله واسع . وكل حرف من تلك الحروف ثنائية الأبعاد ، هو شفرة عظيمة لخلق لا نهاية له من الأبعاد .

عن رسول الله ﷺ قال : «**تُمَدُّ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَدَّ الْأَدِيمِ**» (١) ، أي بسطها كما يبسط الجلد ، فعادت ذات بعدين كالبساط ، ونزلت على

١- رواه الحارث وابن المبارك والحاكم وأبو الشيخ في العظمة .

حروفها أمطار من نور ، فانتعش كل حرف من جديد ، وأعطى ما قُدِّر له من أبعاد .

فقف على حد الأدب ، واعلم أين حرفك ؟ ومن أين بدأت ؟

لقد كنت حرفا في علم الله القديم ، وإذا بدأت فلن تنتهي أبداً

فحرفك أزليٌّ أبديٌّ يشكله الله تعالى في كل عالم بما يناسب ذلك العالم .

فالحمدلله على نعمة حكمة الله البالغة فينا .

العلم سر للمهيمن يخضع فله المفر ومنه كان المفزع

لم تخترع تلك العلوم وإنما يأتي أوان ظهورهن فتسطع

بالقصد أو من دن قصد في يدي ذي العلم أو من غير أرباب النهى يتشعشع

تبنى الجسور إلى الخيال فيخرج الـ مكنون منها للوجود فيلمع

وأهمها يين المعارف خمسة بنيت على ذاك المعابر أجمع

لنيوتن الفزياء لان شديدها وله القوانين الثلاثة ترفع

من سرعة ومسافة وتزامن ربط السما بالأرض فهي تجمع

والجاذبية لاح سر ظهورها فتفتق العقل الذكي الألمع

ثم استنار بذا فراداي الذي للكهرومغناطيس أمسى يتبع

ويقييس ماكسويل سرعتها التي هي سرعة الضوء الذي لا يسرع

وأتى أنشتين العظيم محللا في ذرة حتى استبان الموضع

ربط الزمان مع المكان برابط الـ زمكان فهو موثق لا يقطع

وله معادلة يفك بسرها		من شفرة الأكوان ما يتمنع
فالطاقة اعلم أنها نتجت بضر		بك سرعة للضوء وهو مربع
في كتلة فافهم رزقت من النهى		فهما ينير لك الطريق وينفع
لولا أنشتين استفاد من الألى		سبقوه ما تم البناء الأرفع
والمادة السوداء جسر رابع		فيه الكواكب والنجوم ترصع
فإذا حسبت الكون كتلته بدا		لك أن نسبته لذلك أربع
والطاقة السودا ومادتها هما		ست وتسعون البواقي السفع
ثم اختراع قنابل قد سميت		بالكهرمغناطيس فهي تزعزع
وبها يدمر كل ما ظهرت به		سيما الحضارة وهي ما يتوقع
لكن سنبقى رغم كل قصورنا		نحو المعارف دائما نتطلع
ليسود قانون به كل الورى		حتما لخالقهم يكون المرجع
فيه الحروف تحكمت بجلالها		وعلى الخلائق عرشها يتربع

في اللوح كل صغيرة وكبيرة ... سطرت وفي رق هنالك يجمع

فاللوح ذو بعدين مما قد حوى ... أبعاد كل الخلق عنه تفرع

فكأنه هالوجرام حياتنا ... أبعادنا من حرفه تتوسع

فاللوح كونك إن أردت تحققا ... في رقه خط الكريم المبدع

ولأنت حرف في ثنايا سطره ... ولكل حرف سره المتضوع

الجوهرة الثامنة

النطق

قال ﷺ : «إِنَّ اللهَ عِنْدَ لِسَانِ كُلِّ قَائِلٍ» (١) .

فالكون كله صامتٌ ساكنٌ .

والله تعالى هو الناطق فيه على ألسن الخلق .

فلا يتكلم صامتٌ إلا أمراً .

ولا يتحرك ساكنٌ إلا قدراً .

﴿ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ ﴾ {فصلت : ٢١} .

فكل شيء في الوجود من أصغر ذرة إلى أعظم مجرة ناطق بإنطاق الله له

١- رواه ابن أبي شيبة والشهاب القضاعي والبيهقي .

كُلًّا بلغته : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ ﴾ {النمل : ١٦} ، ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ ﴾ {النمل : ١٨} ، ﴿ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ﴾ {الروم : ٢٢} .

كل ذرة فيك ناطقة سميعة بصيرة : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ {الذاريات : ٢٣} ، فالنطق أحق الحق ، حتى أقسم الله على ذلك .

فكل الخلق أنطقه الله ، ولكن ليس كل الخلق نطق الله فيه ، أو منه .

- **فمن أنطقه الله** : سُمي بشراً أو شيئاً ، وسُمِّي نطقه كلاماً أو لغةً أو منطقاً .
- **ومن نطق الله فيه** : سُمي نبيًّا .
- **ومن نطق الله منه** : سُمِّي رسولاً ، وسمي نطقه وحياً .

وجميع الأنبياء والمرسلين أنطقهم الله ، وأحيانا ينطق فيهم ، وأحيانا منهم .

إلا رسول الله ﷺ ؛ إذ كان الله تعالى ينطق منه ، وعلى لسانه على الدوام :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ {النجم : ٣} .

ومن مدح مخلوقاً بمنطقه ؛ فقد مدح خالقه .

فما من مدحٍ ولا حمدٍ وقع في الكون ، لأحدٍ من الخلق إلا والله هو المقصود به من خلف ستائر الخلق ، وذلك معنى (الحمدلله) ، فـ (الـ) هنا للشمول والعموم ، فشملت كل حمدٍ ومدحٍ .

وقال «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ**» (١) ، لما أنشده الأسود بن سريع شعراً .

١- روى أحمد في مسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ ، أَنَّ الْأَسْوَدَ بْنَ سَرِيعٍ ، قَالَ : أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ الله ، إِنِّي قَدْ حَمِدْتُ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِمَحَامِدَ وَمِدَحٍ ، وَإِيَّاكَ ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «أَمَا إِنَّ رَبَّكَ تَعَالَى يُحِبُّ الْمَدْحَ ، هَاتِ مَا امْتَدَحْتَ بِهِ رَبَّكَ تَعَالَى» .

فكان ﷺ ينظر إلى الشعراء المادحين على أنهم مظهر يحبه الله تعالى ويمتدحه ، بل و من سنته ﷺ أن يثيبهم على مدحهم خيراً ، وأعلاهم من يمدح الحق وأهله ، والرسول وآله ، ومكارم الأخلاق وفاعلها .

قال ﷺ : «**إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ سِحْرًا ، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً**» (١) ، والبيان هو السحر الحلال .

أدوات النطق في الإنسان هي أقدم الآلات الموسيقية : الرئتان والحنجرة واللسان والشفتان .

الرئتان : هما أمهر أداة نفخ موسيقي .

الحنجرة : وهي أداة وترية بما تحويه من أوتار صوتية .

اللسان مع الشفتان : وهما أسرع وأذكى آلة إيقاعية .

أما التجويف الصدري والتجاويف الدماغية : فهي تعمل على تكبير الصوت ، وإعطائه نغمته المصاحبة .

١- رواه ابن ماجة والخلّال والبيهقي وابن بشران .

النطق في الإنسان هو أعظم معجزة موسيقية .

وقراءة القرآن هي أعظم النطق . لأن القرآن هو الوحيد الذي استطاع استفراغ موهبة النطق الموسيقية عند الإنسان . ولذلك قال ﷺ :

«زَيِّنُوا أَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ» (١) .

«زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» (٢) .

«لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ» وَزَادَ غَيْرُهُ : «يَجْهَرُ بِهِ» (٣) .

«مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» (٤) .

صدق رسول الله ﷺ .

١- رواه عبد الرزاق وأبو عوانة وابن الأعرابي والطبراني والحاكم .

٢- رواه البخاري في صحيحه .

٣- رواه البخاري في صحيحه .

٤- روه مسلم في صحيحه .

أحق الحق نطق من لسان ... وكل الخلق ينطق بالبيان
وفي (والذاريات) يمين حق ... على رزق بنطق كالعيان
وما من قائل إلا بأمر ... من الله القدير إلى اللسان
وما من ذرة في الكون إلا ... لها نطق و تسبيح امتنان
(وقالت نملة) فيها دليل ... وفي (منطق الطير) الحسان
وما من ذرة في العبد إلا ... وناطقة سميعة ذو عيان
وكل الخلق منطقه كلام ... له معنى يراه ذوو البيان
فمن نطق المهيمن فيه كانت ... نبوته بفضل وامتنان
ومن منه الإله أفاض نطقا ... فذاك هو الرسول إلى الأمان
ومن خير البرية دام نطق ... بوحي مثل آيات القران
ومن عجب كلامك كالموسيقى ... بأعضاء كآلات المغاني
وجوقة صدرك الرنان تشدو ... بعود أو بناي أو كمان

وما في الكون حمد أو مديح   لذي فضل وأخلاق حسان
بشعر فيه حكم ، أو بنثر   وسحر من صبابات البيان
سوى والله مرجع كل مدح   وأصل الأصل في كل المعاني
وكل الحمد مشمول بلفظ   بفاتحة الكتاب من المثاني
وأعلى النطق تزيين لصوت   بترتيل لآيات القرآن
ولفظ (الله) أعلى الذكر فيه   ولفظ (الله) حصن للزمان
وكل الكائنات لها انتهاء   وكل الخلق مندثر وفاني
ويبقى الله رحمانا رحيما   يجود بفضله في كل آن

تسائلني ما الشيخ قلت رقائق ... تروق بها الدنيا وتبدوا الحقائق

تمازج في روح المريدين سره ... فما عزبت عنه الصغار الدقائق

وإن ثملت كف المريد بشوكة ... ففي قلبه سهم من الحزن راشق

تمر به الأحوال بسطا وشدة ... ولكنه في رحمة الله واثق

يقلب في العلياء صفحة وجهه ... ويصمت منه الفم والقلب خافق

وينطق عن أمر السماء لسانه ... فما ثم إلا الصمت والله ناطق

سكون اضطراب أو تحرك ساكن ... بأمر إلهي وسر مرافق

وكل صغير أو كبير فناطق ... هو الحق مثل الشمس والضد زاهق

مجرة أفلاك وذرة باحث ... خطامها في قبضة الله عالق

فإن نطق الخلاق في سر عبده ... يصير نبيا تقتفيه الخلائق

وإن نطق الرحمن منه فإنه ... رسول وبين النور والشرك فارق

فما ثم ممدوح سوى الحق عندنا ... وإن زعمت جمع الثناء الخلائق

ولا نظمت سحرا حصافة شاعر لغير جلال الحق والحق شاهق

وكل ثناء في الخلائق واقع فـــــ لله مصــــــروف

هو الحمد والمحمود والحامد الذي إليه ومنه الحمد بالحمد سابق

الجوهرة التاسعة

أم الكتاب

قال تعالى : ﴿ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ ﴾ {الرعد : ٣٩} .

فاللوح المحفوظ ، وهو الكتاب المسطور ، الذي يمحو الله تعالى فيه ما يشاء ويثبت . كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ {الصافات : ١٤٧} .

أما أم الكتاب ، فهو كتاب في عندية خزائن الغيب ، لا محو فيه ولا زيادة ولا نقصان ، بل إثبات : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ {يس : ١٢} ، ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴾ {النبأ : ٢٩} ، ﴿ وَأَحْصَىٰ كُلَّ

شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ {الجن : ٢٨} .

قضاء الله تعالى على عباده مرتبة خالصة وحدها . إذا اطَّلع عليها العباد مجردة بمفردها ؛ لماتوا فزعاً وخوفاً من شدتها وقهرها ، فهي مرتبة لا تتحملها البشرية بوجه عام .

ثم يُدخل الله عليها ما يشاء من أسماء لطفه ورحمته وكرمه وحنانه وأنسه ومغفرته ، ما هو أهل بكرمه وجوده ، فيمحو الله تعالى السيئات بمغفرته ، والموبقات بعفوه ورحمته ، والنوازل بالدعاء ، قال ﷺ : «**لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ**» ، ويزيد البر في عمر الإنسان : «**وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ**» (١) . وتفصيل ذلك : أن إنسان عمره في اللوح المحفوظ خمسون عاماً ، ولكنه أصبح يبَرّ أهله ، فيزيد عمره عشر سنوات ، فيصبح ستين سنة ، أما في أم الكتاب فإن عمره مكتوب ستون سنة بلا محوٍ .

١- رواه الترمذي والبزار والطبراني والشهاب القضاعي .

وتمحو الرحمةُ العذابَ حيث يشفع رسول الله ﷺ ويقول : «**يَا رَبِّ ، ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ فِي النَّارِ**» (١) .

وحين يمحو الجبار عذاب النار . قال رسول الله ﷺ : «**لاَ تَزَالُ جَهَنَّمُ تَقُولُ : هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ، حَتَّى يَضَعَ رَبُّ العِزَّةِ فِيهَا قَدَمَهُ ، فَتَقُولُ : قَطْ قَطْ وَعِزَّتِكَ ، وَيُزْوَى بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ**» (٢) .

ولا تستقر الأمور بعد المحو والإثبات إلا على الرحمة التي سبقت ووسعت : «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**» (٣) ، وقال تعالى : ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ {الأعراف : ١٥٦} ، والعذاب شيء فوسعته الرحمة .

فـ (أم الكتاب) هو الكتاب الْمُكَرَّم ، والقضاء الْمُبرَم ، الذي تستقر عليه مقادير العباد ، مشفوعة بـ (الرحمن الرحيم) .

١- رواه الآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه .

٢- رواه البخاري في صحيحه .

٣- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

فإذا قرأت (الرحمن الرحيم) فقد قرأت ملخص (أم الكتاب) . ملخص كل الأقدار المبرمة التي لا محو فيها . بل كلها إثبات في إثبات .

فـ (الرحمن الرحيم) هو سر (أم الكتاب) ومفتاح شفرته .

ولذلك سميت الفاتحة بـ (أم الكتاب) و (أم القرآن) لتكرار (الرحمن الرحيم)فيها ، فاسم الله الأعظم وقضاؤه المبرم في هذين الاسمين .

ولو اطلع الخلق على (أم الكتاب) لاتكلوا وتركوا العمل ، مما يرونه من الرحمة الواسعة والمغفرة الشاملة .

كما أنهم لو اطلعوا على كتاب القضاء قبل المحو والإثبات ؛ لماتوا من الرعب .

فـ (أم الكتاب) الباطن عند الله موافق لـ (أم القرآن) الظاهر في الفاتحة .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴾ {الحجر : ٨٧} ، والمثاني عكس الإفراد . فالفاتحة نصفها الأول إفراد للألوهية ،

ونصفها الثاني إفراد للمألوهية والعبودية .

وقد ثنَّى الله تعالى بمألوهية عبيده له على ألوهيته وعظمته ؛ قال رَسُولُ الله ﷺ : قَالَ اللهُ تَعَالَى : «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {الفاتحة : ٢} قَالَ اللهُ تَعَالَى : حَمِدَنِي عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ {الفاتحة : ٣} ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي ، وَإِذَا قَالَ : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ {الفاتحة : ٤} ، قَالَ : مَجَّدَنِي عَبْدِي ، وَقَالَ مَرَّةً : فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي ، فَإِذَا قَالَ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الفاتحة : ٥} قَالَ : هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ ، فَإِذَا قَالَ : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ {الفاتحة : (٦-٧)} ، قَالَ : هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه .

وهي أيضا مثاني ؛ لأن العبد يقول ، ثم يقول الله رداً عليه ، فتظهر التثنية .

وفي الوسط : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {الفاتحة : ٥} ، إياك ، وإياك ألوهية ، ونعبد ونستعين مألوهية وعبودية .

فسبحان من هذا كلامه .

أم الكتاب هي القضاء المبرم وهي المثاني والقران الأعظم
تتنزل الرحمات من ينبوعها وبه سر القضا الذي لا يعلم
والله يمحو ما يشاء ومثبت واللوح محفوظ لديه مكرم
لو شم عبد منه رائحة القضا فيها انقضى رعبا ونادى مهيم
لكن وفي أم الكتاب عجائب من رحمة سبقت وربك مكرم
وسعت فعمت كل شيء رحمة فالله رحمن رحيم أرحم
لو لاح سر قضائه في خلقه هام الورى سكرا ولات تندم
حفت مقادير العباد بلطفه والله يعفو عن كثير يحرم
والله يفتح في سحابات القضا أنواء جود باللطائف توسم
فالعبد يرفع باليدين دعاءه فإذا القضاء يرد وهو مسلم
هذا الدعاء وذا القضاء تعالجا والله يقضي ما يشاء ويحكم
ويمد في العمر المبارك بره فيزيد طولا وهو قبل مقدم

والسيئات من العباد صواعد والله ينزل رحمة هي أعظم

وسوابق الهمم الكبار نوافذ في محو أقدار، وهن عظائم

والله قد قسم الصلاة تكرما عبد يناجي ، والكريم يترجم

حمد ، وتمجيد ، ثنا من عبده والله يعطي ما يشاء ويكرم

عبد يناجي ربه ، ويجيبه ! يا ما أحيلى ذا النجاء الأعظم

أم الكتاب هي الدعاء هي الشفا وهي المثاني والقران الأعظم

سر الوجود قد انطوى في رحمة بدئت بها أم الكتاب ، ويختم

ترى بي ما يوسدني ترابي ... سرى بي نحو أودية سراب

وسر الله يذهل كل لب ... و يأخذ بالقشور وباللباب

يقلبنا بإثبات ومحو ... ولكن عنده أم الكتاب

وسطر فيه رحمانا رحيما ... وأخبر أنه فصل الخطاب

لو اطلعوا على حرف لديه ... لما عرفوا الطريق إلى المتاب

ولو نزل القضاء عليك صرفا ... لسامك وقعه سوء العذاب

ولكن يسبق الأقدار لطف ... ينقيها من الألم المشاب

وتخفيف وتيسير وعون ... يسهل سرها كل الصعاب

وتسبق رحمة الرحمن حتى ... تبدد كل ألوان العقاب

يبدل كل شيء ما عداها ... فيخضع سرها كل الرقاب

وينصب القضاء بكل بأس ... فيدفع بالدعاء المستجاب

وفي القرآن والسبع المثاني ... جمال دونه سدل النقاب

بوعد للخلائق أو وعيد ... وعفو أو بعدل أو حساب

وأضداد لها وجه وحيد ... إذا رفع النقاب عن النقاب

فإن الله _جل الله_ وتر ... يجل عن التناقش والعتاب

وفاتحة الكتاب هي المثاني ... وسر السر في طي الكتاب

تقاسم سرها رب وعبد ... مقاسمة العطاء المستطاب

الجوهرة العاشرة

اليقين

قال تعالى : ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ {الحجر : ٩٩} ،

اليقين فلكٌ واسعٌ ، جعل الله له علماً وعيناً وحقًّا .

علم اليقين ، وعين اليقين ، وحق اليقين .

أما حقيقة اليقين فهو الله تعالى الذي من أسمائه اليقين .

فإذا كشف الله عن بصيرة عبده ، حتى صار سمعَه وبصرَه ويده و كل قواه ، فقد أتاه اليقين .

ويكون العبد بذلك قد رجع إلى خالقه طواعيةً وحبًّا ، وهو في الحياة الدنيا : ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ {الأحقاف : ٢٧} ، فالرجوع لا يكون إلا إلى

من برز الإنسان عنه ، وإلا رجع إليه مكرها بعد الموت : ﴿ وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ ﴾ {آل عمران : ٨٣} . وهناك فرق كبير بين : ﴿ يَرۡجِعُونَ ﴾ و﴿ يُرۡجَعُونَ ﴾ .

فأهل اليقين : هم أهل الله في الدنيا والآخرة .

وأهل الله : لا يتعبدون أمراً ونهياً ، بل يُتَعبَّد بهم حبًّا وعشقاً .

فلا يجتمع أمرٌ ونهيٌّ مع حبٍّ وعشقٍ .

ولا يحكم شرعٌ على ربٍّ .

كما لا تحكم ربوبيةٌ على ألوهيةٍ .

وكذا لا تحكم ألوهيةٌ على ذاتٍ مقدسةٍ .

إذ المراتب لا تحكم على الأصل ، والأصل حاكم على الجميع .

فالذات المقدسة حاكمةٌ على الجميع .

الأمر والنهي لمن يُتخَيَّل منهم عصيان الأمر وإتيان النهي .

أما أهل اليقين فهم مأخوذون عن أنفسهم بحقيقة اسم الله اليقين فأنفاسهم عبادة ، ولحظهم تسبيح فـ ﴿ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴾ {المعارج : ٢٣} ، وفي حضرة الله ساجدون لا يرفعون ، عاكفون لا يبرحون .

اليقين هو الذي يأتي بغير تَعمُّل ولا احتيال منك بكثرة عبادة ، بل محض اجتباء واصطفاء . فإذا أتاك اليقين صرت محبوباً بعدما كنت محبًّا ، ومطلوباً بعدما كنت طالباً .

إذا بلغ الإيمان في القلب ٩٩.٩٪ ، لم تبلغ اليقين !

وانما تبلغ مقام اليقين في اللحظة التي يبلغ فيها الإيمان١٠٠٪ ، فيشعر القلب بلذة الطمأنينة التي لا تدانيها لذة ، وتُكتب من أولياء الله الذين ﴿ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ {يونس : ٦٢} .

الإيمان كله خيال وتصوُّر .

ومعنى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} ، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر والجنة والنار ، كله خيالٌ في خيالٍ .

ولما كان الخيال واسعاً ؛ فقد استوعب الإيمان بكل درجاته .

أما اليقين ؛ فلا يثبت إلا بالمشاهدة والمعاينة ، وهو اطمئنان القلب ، وثبوت الإيمان فيه : ﴿ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾ {البقرة : ٢٦٠} .

فوضت يقيني إلى يقين رسول الله ﷺ .

يا طالب العلم الشريف محررا ... ذاكم صلاح الدين فاض جواهرا

مصباح مشكاة الزجاجة، نورها ... عم الوجود بواطنا وظواهرا

يا عبد كن عبدا ولا تك سيدا ... يأتيك بالله اليقين محررا

ياء اليقين يد العناية لاحظت ... قلبا يرى نور الحقيقة ظاهرا

ولأنه علم شريف واسع ... وسع العلوم وكان في العلم الذرا

علم وعين ثم حق صادق ... أما الحقيقة فهي ذات لا ترى

العلم قلب ليس فيه فريغة ... من داج شك ، أو ظلام من مرا

والعين رؤيته بنور بصيرة ... كشف الحجاب له ، فصار منورا

والحق إن ذاق الفؤاد سكينة ... فيها اطمأن وصار عبدا شاكرا

والعبدحق العبد يعرف أصله ... وإليه يرجع طائعا مستبشرا

هل (ترجعون) محبة وكرامة ... أم (ترجعون) كعبد سوء أحضرا

هذا (الرجوع) لمن أتى متشوقا ... والقهر (إرجاع) لمن قد قصرا

رجع المحب بلا اضطرار راغبا ولذا به الصديق قد فاق الورى

يا بون كلتا الرجعتين لأهلها والكل بعد الموت يرجع مقهرا

أهل اليقين قد اصطفاهم ربهم شتان بين الرجعتين لمن درى

قد صار ربهم قواهم سمعهم وغدوا له أهلا ، فيانعم القرى

أهل اليقين لهم (إذا أحببته) أبصارهم تصريفهم فيما جرى

شربوا صفاء محبة من ربهم وغدوا بنور الله سرا باهرا

وحياتهم لله صارت منسكا فغدا الفؤاد بذكره متعطرا

ولهم عكوف دائم بصلاتهم في كل حال من غدو أو سرى

لا يرفعون من السجود رؤوسهم في حضرة النور المقدس في حرا

إن المحب لمن يحب لعاشق وقلوبهم عشقت هوا أم القرى

شرع المحبة ليس فيه أوامر وهواه صار بمن أحب مقدرا

ما ثم شيئ كاليقين مزية ما بين أهل الحب إلا (قد نرى)

يقيني فيك من نفسي يقيني وظني فيك يحميني ظنوني
سلكت إليك من علم فحق فعين في اليقين بلا فتون
فأما العلم في هذا فصدق حقيق في مطالعة الشئون
وأما عينه فشهود عين شهود الشمس في الأفق المبين
وحق شهوده تعني التماهي بذات فيه أخذا باليمين
وهذا ظاهر والأمر سر لربك دونها كاف ونون
تسمى باليقين فكان أبهى وأصدق من مشاهدة العيون
ظهور في بطون في تجل يجل عن الظهور أو البطون
فأهل الله من رجعوا إليه طواعية بإيمان ودين
وكان الله سمعهم وكان الـ جوارح كلها في كل حين
وماتوا قبل موتهم فعاشوا حياة الخلد من وقع المنون
وما عبدوه عن أمر ونهي ولكن عن غرام مستبين

قلوبهم - وإن لعبوا – سجود　　يمزقها تسابيح الحنين

وجاءهم اليقين بلا احتيال　　ولم يك كفه كف الضنين

فمن كمل اليقين له فهذا　　له الإيمان مكتمل الفنون

وما الإيمان الا من خيال　　أرق من النسائم والمزون

خيال في خيال في خيال　　يحور إلى يقين في يقين

وأكمل أهله من قال فيه　　بقلب صادق وهوى أمين

تركت جميع معتقدي وظني　　لمعتقد النبي وكل ديني

وفوضت العلوم وما حوته　　لباب العلم حيدرة البطين

الجوهرة الحادية عشر

الوفاة والموت

الوفاة غير الموت .

- **الوفـاة** : أن تستوفي الملائكة عملك كاملاً متمماً عند النوم : ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ﴾ {الأنعام : ٦٠} . أو عند غياب العقل سواء بمخدر أو غيبوبة ، فتكف الملائكة عن الكتابة : «**رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُكْشَفَ عَنْهُ**» (١) . والتوفي يحدث للإنسان فقط دون غيره من المخلوقات ، ويحدث مرات ومرات .

١- رواه أحمد والطيالسي وأبو داود وأبو يعلى والبيهقي .

- **أما الموت** : فيحدث مرة واحدة للإنسان ولغيره ، وهو حين ترجع الروح إلى الله تعالى ، فينفرط عقد الجسد والنفس والقلب والعقل ، وعندها يرى الإنسان ربه : «**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**» (١) .

ليس كل متوفٍ ميتاً . فالنائم متوفي ، ولم يمت .

وليس كل ميت متوفياً . فأصحاب الكهف توفاهم الله ثلاثمائة وتسع سنين ولم يموتوا !

وكثير من الناس يموت ولا يتوفى ، وهؤلاء الذين تظل الملائكة تكتب أعمالهم حتى بعد الموت ، قال ﷺ : «**إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ : صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ**» (٢) وقال ﷺ : «**كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الْمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ الله ، يَجْرِي عَلَيْهِ**

١- رواه مسلم في صحيحه .

٢- رواه الترمذي والدارمي والبيهقي والنسائي وابن حبان .

أَجْرُهُ حَتَّى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَيُوقَى فِتْنَةَ الْقَبْرِ» (١) ، وكذلك الأنبياء والصديقون والشهداء وأهل المحبة ، فكلهم تظل أعمالهم في ازدياد بعد الموت بلا وفاة ، حتى أجسادهم لا تأكلها الأرض ، ولا تموت ، وتظل كما هي .

إذن فالموت يلحق الأجساد ، والوفاة تقع للأنفُس .

إذ النفس تذوق الموت ولا تموت : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ {آل عمران : ١٨٥} .

وحين توفي النفوس :

- فالملائكة تتوفى الأعمال الظاهرة : ﴿ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا ﴾ {الأنعام : ٦١} .
- والله تعالى يتوفى الأعمال الباطنة : ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ ﴾ {الزمر : ٤٢} .

١- رواه أحمد وأبو داود والبزار والطبراني والبيهقي وأبو عوانة والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

أما الروح فلا تموت ، ولا تتوفى ، ولا تمرض ، ولا تنام ، ولا تتعذب ، لأنها نفخة الله المقدسة ، فلا تعامل لها مع سوى الله تعالى .

قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾ {آل عمران : ٥٥} ، أي مستوفي كتابة عملك قبل رفعك .

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ {النساء : ١٥٩} ، ﴿ وَإِن مِّنْ ﴾ هذه تفيد الاستغراق ، يعني جميع أهل الكتاب من اليهود والنصارى سوف يؤمنون بنبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام ، حين ينزل في آخر الزمان ، ويقتل المسيخ الدجال . النصارى سيؤمنون به أول ما ينزل ، واليهود يؤمنون به بعد قتله للمسيخ الدجال .

ما ثَمَّ إلا ومقدور من الأزل فاقنع وعن دولة الأشباح لا تسل

وكن على الله – جل الله – معتمدا يكيفيك عند انكسار القلب بالأمل

فمن علامة أهل الاعتماد على أعمالهم يأسهم في ساحة الزلل

ملائك الله تستوفي كتابتها أعمالنا لقدوم الموت والأجل

إن الوفاة لأعمال نزاولها والموت للجسم لا للروح والعمل

كم ميت لم تمت يوما فضائله سر الوفاة عليها غير منفعل

كما المسيح توافاه الإله ولم يمت فأسمع به حيا كمنتقل

يوما سينزل عند الفجر وفرته تكاد تقطر حب الدر من بلل

وعند مرقد يوحنا له نزل إن الأقارب أولى الناس بالنزل

أهل الكتاب جميعا يؤمنون به وتحت رايته يمشون في الحلل

ولا يصلون إلا خلف ذي حسب منسَّبٍ لأمير المؤمنين علي

الجوهرة الثانية عشر

الضريح والمقام

الضريح غير المقام .

- **الضريح** : معناه أن الولي صاحب الضريح مدفون فيه .
- **أما المقام** : فهو مقام رمزي برزخي لذلك الولي ، وليس بمدفون فيه ، ورمزيته هو ظهور ذلك الولي في هذا المكان بأنواره وأسراره وطريقته .

فالسيدة زينب رضي الله عنها لها ضريح معروف في مصر ، ولها مقامات كثيرة في مصر وغيرها من البلاد . وكذلك الإمام الحسين ﷺ .

وجَدُّنا السيد أبو العباس التجاني ﷺ له ضريح فخم مفخم بفاس ، ولـه

مقام بمصر بحديقة الزاوية التجانية بإمبابة ، قائم منذ أربعين سنة ، وهو آية من آيات الجمال ، وهي أول قبة من الزجاج المعشق في العالم تقام على مقام ، وحولها أشجار الحديقة كعمائم الأولياء مستديرة خضراء ، وله إضاءة من داخله ، إذا أضاءت ليلاً لا تسل عن جمالها ! وانتشار السكون والسكينة والهدوء والنور حولها .

وعلاقة المريد بشيخه هي علاقة روحية لا يحدها ضريح ولا مقام ، ولكن إقامة الأضرحة والمقامات ما هي إلا نقاط وعلامات ومواقيت يجتمع عندها ويأنس بها أهل المحبة ، لإظهار حبهم لذلك الولي الكريم ، وليست المقامات والأضرحة مقصودة لذاتها :

أمرُّ على الديار ديار ليلي أقبِّل ذا الجدارا وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار

وكل من زار الضريح بفاس ، أو المقام في إمبابة ، فإن قلبه سيضيع من

يديه من شدة الحب والجذب .

رضي الله عن صاحب الضريح والمقام ، وأكثر الله من مقامات السيد التجاني رضي الله عنه ، ووحد ضريحه .

والحمد لله الذي شرفني أمراً في عالم البرزخ ، بإقامة هذا المقام الكريم ، وإظهاره إلى عالم الحقيقة ، وأمدني بمدده العظيم ، بالقيام على مقام جدي السيد التجاني رضي الله عنه وأرضاه .

وكلمة (إمبابة) يعني : أَمَّ بابه . يعني قصد بابه . حُرِّفت حتى صارت (إمبابة) .

ومن الجميل أن اسم الشارع المقام فيه ذلك المقام : شارع أبي العباس التجاني رضي الله عنه .

أَلِأَنَّ وجهك فاتن ومليح ... يشقى بحبك مغرم وجريح ؟

إن كان أزعجك البكاء من الهوى ... فبكاء كل متيم تسبيح

أحيا جمالك مهجتي فكأنما ... قلبي اليعاذر والجمال مسيح

إني أقمت هواك بين جوانحي ... حرما أطوف بصحنه وأسيح

ويلومني في البعد منك عواذلي ... كذبوا فقلبي في فناك طريح

شتان ما بين المقام لعارف ... وضريحه ولنا عليه شروح

أما الضريح فما يضم عظامه ... ومقامه رمز عليه يلوح

كمقام قدس أنشأته عناية ... بامبابه وبسر ذاك نبوح

ظهر الإمام الختم فيه بنوره ... ورآه بالكشف الصحيح صحيح

فبنى صلاح الدين قبة جده ... وبدت على سيما المقام فتوح

يا سيداً من سيدٍ من سيدٍ ... سند صحيح ما به تجريح

لما أقمت مقام جدك ها هنا ... سقطت هناك مدائن وصروح

رمز ولم يجرؤ على إنشائه | إلا شريف النسبتين صريح
إن كان في فاس العتيقة قبره | فله بقلبك قبة وضريح
علم على طود المعارف شامخ | تغدو عليه ملائك وتروح
زكمت أنوف الجاهلين فأنكروا | وشذا النبوة من هداك يفوح

الجوهرة الثالثة عشر

وليس الذكر كالأنثى

عندما يذكر الله تعالى البنات في كتابه العزيز ، فإنه يذكرهن ذكرا مغلفا بصفة حميدة ، فيقول تعالى : ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ {النحل : ٧٢} ، فذكر البنين ، وعبَّر عن البنات بقوله : ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ . وقال تعالى : ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ {النور : ٢٦} . وقال تعالى : ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ {الكهف : ٤٦} ، فالبنات هن الباقيات الصالحات الطيبات .

وفي الحديث قَالَ رَسُولُ الله ﷺ :

« إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ ، فَأَخَذَتْ بِحَقْوِ الرَّحْمَنِ ، فَقَالَ : مَهْ ، فَقَالَتْ : هَذَا مَكَانُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ، قَالَ : فَذَاكَ لَكِ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ : ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ﴾ {محمد : (٢٢ – ٢٤)}» (١) . فالرحم هم الأقارب من جهة الأم ، أما الأقارب من جهة الأب فتسمي عصبة .

انظر إلى هذه الرحم التي تعلقت بالله ، وكيف أن الله يعاملها بلطف وحنان ، وكيف أن الله قد استجاب لها ، وأنه تعالى قد قطع من قطعها ،

١- رواه أحمد والبيهقي في الأسماء والصفات وفي شعب الإيمان .

وقد وصل من وصلها .

ولذلك كانت آخر وصية رسول الله ﷺ قبل موته : «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» (١) .

وينص القرآن نصًّا صريحاً واضحاً أن المرأة لم تُخلق من جسد آدم عليه السلام ، بل خُلقت من ألطف وأرق ما فيه ، لقد خُلِقت من نفْسه : ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا ﴾ {النحل : ٧٢} ، وتلك النفس هي المُعبَّر عنها بالضلع الأعوج . واعوجاج الضلع هو استقامته وكماله ، لأداء مهمته على أتم وجه ، فلو قال كالضلع المستقيم فذلك ذم للضلع . الضلع الأعوج هو رمز الحنان والعطف . وفي الحديث : «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا ، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاهُ ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» (١) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

فلا يعقل أن يوصي رسول الله ﷺ أمته بالنساء ، ثم يذمهن بأنهن ضلع أعوج ، فالضلع الأعوج هو كناية عن نفس آدم عليه السلام التي خلق الله تعالى منها حواء عليها السلام ، فنفسه نفس حنونة مستقيمة الطباع .

فآدم عليه السلام بدأ الله خلقه من طين ، وحواء عليها السلام بدأ الله خلقها من نفس آدم ، فكانت رقيقة لطيفة ، وكالضلع ، فصارت حنونة .

وحواء عليها السلام هي قمة الهرم الخلقي ، بيد أن الله تعالى خلق الكون كله بما فيه ، ثم خلق آدم عليه السلام ، فكان الكون كله مجعولا لآدم عليه السلام . ثم خلق حواء فصار الكون كله بما فيه آدم مخلوقا لحواء ، فإن الله تعالى لا يخلق شيئا إلا إذا خلق له ما يلزمه قبل أن يخلقه .

فالكون كله من لزوميات آدم عليه السلام ، ثم آدم من لزوميات حواء عليها السلام ، وإذا ذهب الله تعالى بالشيء ذهب بلزومياته ، حيث لم يصبح لوجودها فائدة . فإذا ذهب الله بالرجل بقي الكون لأنه من لزوميات

المرأة ، أما إذا ذهبت المرأة فقد فني الرجل والكون ، لأنهم من لزوميات المرأة .

والوجود الكوني كله كان ناقصاً قبل خلق حواء عليها السلام ، فلما خلقها الله تعالى تم ماكان ناقصاً .

والحمد لله رب العالمين .

تُسائلني ما الأمر والأمر واضح فؤادك مغرور وعقلك جامح

تدل بمعنى في الذكورة زائد وتحتقر الأنثى فحكمك جائح

إذا كان فضل فالأنوثة سره وفي ذلك الدين الحنيف يصارح

حديثات عهد -لا نشك- بربنا وكل حديث بالعهود مسامح

خلقن من النفس اللطيفة فاستوت لهن من الحسن البديع ملامح

وهن من الضلع الأحن فإن يك اعـ ـوجاج فمن فرط الحنان يراوح

وإن اعوجاج الضلع عين قوامه ويفسد إن قومته منه صالح

وَيُقْتَلُ فيهن الرجال شهامة وهن بأحلام الخيال سوابح

ينشأن حبا في الحلي وأنت من شقائك في صخر الحياة تناطح

وتستملح الدنيا بلطف وجودهن ويحلو بهن العيش والعيش مالح

وهن لنا الأرحام والله راحم وهن البواقي الراحمات الصوالح

ومنهن أحفاد ومنهن زينة ومنح بلا منع وربك مانح

وفيهن أسرار الوجود جميعها   وفيهن من قدس الجمال روائح
وفيهن إن ضاق الزمان توسع   وإن عجز الإنسان هن جوارح
وخدمتهن الفتح والنصر والرضا   وهن حجاب في القيامة نافح
وما أكرم الأنثى وأحسن برها   أخو كربة إلا أتته الفواتح

الجوهرة الرابعة عشر

الفكر و الذكر و الصور

- ## الأفكار تجذب الأقدار :

قال ﷺ في الحديث القدسي أن الله تعالي يقول : «**أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ**» (١) . وقال ﷺ لكفار مكة : « **مَا تَرَوْنَ أَنِّى صَانِعٌ بِكُمْ؟** ». **قَالُوا : خَيْرًا أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ. قَالَ** :« **اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ** » (٢) . فحسن الظن بالله يورث نعيم الدنيا قبل نعيم الآخرة .

١- رواه أحمد والطبراني والدارمي وابن حبان والبيهقي في شعب الإيمان وفي الأسماء والصفات وابن المبارك في الزهد والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

٢- رواه البيهقي وابن هشام في سيرته وابن حبان في الثقات .

• والأذكار تجلب الأنوار :

فما من ذكر من الأذكار إلا وله مدد يطلبه من الأنوار الذاتية أو الإلهية أو الربانية .

- **فالأنوارالذاتية** : قوله : «**أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي**» (١) ، وقوله : «**أَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي ، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي**» (٢) .
- **وأما الأنوار الإلهية** : فقوله ﷺ : «**لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ**» (٣) .
- **وأما الأنوار الربانية** : فقوله تعالى : ﴿ **فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ** ﴾ {البقرة : ١٥٢} وقوله : «**إِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ، ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ**» (٢) .

١- رواه أحمد وابن أبي شيبة والدينوري والبيهقي وابن أبي عاصم وابن عساكر .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٣- رواه مسلم في صحيحه .

- **والمحبوب مطلوب وعن إرادته مسلوب :**

قال تعالى : ﴿ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ﴾ {الشورى : ١٣} ، وقال : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ﴾ {آل عمران : ٣٣} .

فكل محبوب يطلبه حبيبه .

- أما المحِب ؛ فهو في عناء الظنون بين ترغيب بالقرب ، وترهيب من البعد ، كلمة تحييه ، وعبارة تفنيه ، حجابه بلاء ، وعمره عناء .
- أما المحبوب ؛ فيشرب البلاء ، ولا يشربه البلاء ، لأنه غائب في مشاهدة حبيبه ، فإن نزل عليه بلاء الدنيا والآخرة لما أحس به ، لفرط غيبته في جمال محبوبه .

• والكلام أمة قد وسعت الجنة و النار :

قال تعالى في الحديث القدسي : «**عَطَائِي كَلَامٌ وَعَذَابِي كَلَامٌ ، إِنَّمَا أَمْرِي لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْتُهُ أَنْ أَقُولَ لَهُ : كُنْ، فَيَكُونُ**» (١) . فخزائن الكلام قد حوت النعيم المقيم ، وكم جبرت خواطراً مكسورةً بعبارةٍ ميسورةٍ .

كما قد حَوَت سُمًّا زعافاً ، ونوازعاً شريرةً ، ونيراناً سعيراً .

بكلمةٍ واحدةٍ قد تهدم حياة أمةٍ ، وبكلمةٍ واحدةٍ تحييها .

قال ﷺ : «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ**» (٢) وقال : «**الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْقَوْلِ**» (٣) وفي رواية : «**الْبَلَاءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ**» (٤) .

١- رواه ابن ماجة والترمذي وحسنه وأحمد والبخاري في خلق أفعال العباد والبزار والطبراني والبيهقي وتمّام في فوائده .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٣- رواه البيهقي وابن شاهين وأبو الشيخ في الأمثال وابن أبي الدنيا .

٤- رواه الشهاب القضاعي والفاداني في العجالة وابن أبي الدنيا وابن لال .

- **وفي كل ذرة ما حَوَته المجرة :**

قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ {الحجر : ٢١} ، فساوى بين الذرة والمجرة في الشيئية ، فالذرة الصغيرة شيءٌ ، والعرش العظيم شيءٌ .

وقال تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ٤٤} ، فساوى بينهم في تسبيح المعبود ، كما قد ساوى بينهم في شيئية الوجود !

- **وأنوار الجمال تقع على حقائق الكمال :**

فتُكوِّن لها صوراً متعددةً ، وظلالاً ممددة : ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ {النور : ٣٥} ، فتظهر في كل زمان ومكان بصورة الإمكان ، مع أنها حقيقة ثابتة خارج الزمكان ، فمن تقرب بالصورة الظاهرة انفهقت له حقيقتها الباطنة .

فأنوار الله تعالى دائمة الظهور في كل عصر ، وكذلك في كل مصر ، بما تقتضيه حقائق ذلك العصر من الكمال ، بصور متعددة ، وحقائق متفردة ، فتتجلى أنواره تعالى على حقائق أوليائه وخلفائه ، فتظهر للكون ظلال تلك الحقائق صوراً مشهودةً : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ {الفرقان : ٤٥} .

وتلك صورة السيد التجاني الحسني ﷺ ، قد كنا رأيناها في مشاهدةٍ شريفةٍ منةً من الله تعالى وفضل .

مع العلم بأن أولياء الله تعالى قد يظهرون بصور متعددة ، ولا تحجير على فضل الله ، وليس هناك سر على الأحباب ، فأنا أتحفكم اليوم بها .

أما الإمام فهاتيكم جواهره ... مهما يجود فلن تفنى ذخائره

علومه من لدن من لا يحيط به ... علم ولا الفهم في شيء يساوره

النور ظاهره والحب باطنه ... والحق أوله جهرا وآخره

يقول فيها سرت في الكون أحرفه ... مسكا وطاب بحسن الذكر عاطره

فكر كما شئت أن تحيا فإن قضاء ... المرء تجذبه يسرا خواطره

فالله عند ظنون العبد ما حسنت ... أو ساء ظنا فتأتيه مصائره

هذا مقام رسول الله وارثه ... وساعة الفتح قد لاحت بوادره

ماذا تظنون أني فاعل بكم ... قالوا كريم ولا تخفى بشائره

فحدد القدر المحتوم ظنهم ... والظن عن قدر والله قادره

أكثر من الذكر تستجلب حقائقه ... فقد يفوز بنور الله ذاكره

أنوار ذات لمن بالذات يذكره ... ومن يغيب به والله حاضره

وللألوهية العلياء إن ذكروا ... نور عظيم يناغي من يخامره

كذا ربوبية الرحمن مانحة ... أنوارها من سرى بالذكر سائره

وكل ماهو محبوب فعاشقه ... بالقلب ذاكره بالعين ناظره

يعوذ بالقرب من بعد يحيق به ... أو أن تدور على قلب دوائره

وفي الكلام نعيم لا حدود له ... وفيه أيضا عذاب خاب زائره

خزائن مالها حصر ولا عدد ... مفتاحها القول عز الله آمره

كم كلمة هدمت جيلا بأكمله ... وكلمة سرها في الكون عامره

إن البلاء بسر اللفظ موكلة ... أهواله ويوافي النحس طائره

فالله عند لسان الناطقين وما ... يقال فاعلم بأن الله ناثره

سر الجمال بهذا الكون مكتمل ... ساوت أكابره فيه أصاغره

وفي المجرة ما في ذرة وإذا ... دققت فاض بسر الخلق ناشره

نور الجمال إذا فاضت حقائقه ... على الوجود بدت منه سرائره

وكانت الماء في صفو بلا كدر ... تبدو لناظره منه ضمائره

كل الخلائق في أكناهها صور   للحق ليس بها إلا شعائره
فليس في الكون إلا الله يظهر والـ   ـذي تراه – بلا شك – مظاهره
فهذه صور والله ظاهرها   يا سعد من أدركت هذا بصائره

الجوهرة الخامسة عشر

الغيب والخيال

قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ {هود : ١٢٣} .

ما غاب عن الكون من الكون هو الغيب .

وما ظهر من الكون للكون هو الشهادة .

والكل لله شهادة ، فهو سبحانه ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ {الأنعام : ٧٣} ، فيشهد الله تعالي الغيب كما يشهد الشهادة ، إذ ليس في حضرته غيب ، فالكل له مشهود .

فما ظهر مظهرٌ من مظاهر الظهور ، فهو من اسمه الظاهر .

وما بطن سر من أسرار الغيوب فهو من اسمه الباطن .

كل ماهيات الأشياء وبواطنها وحقائقها ومكنوناتها وكنهها لا يعلمه إلا الله تعالى .

أما ظواهرها ومظاهرها فهو علم قد أباحه الله تعالى لمن يظفر به من خلقه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ﴾ {فاطر : ٤١} .

فهو تعالى وحده الذي يعلم ماهيات الأشياء ، والتي بها يُمسك كل شيء ، وهي السر الأعظم الذي لا يعلمه إلا مُشَيِءُ الأشياء .

فالله وراء كل شيء .

وماهية كل شيء .

وحقيقة كل شيء .

وشيئية كل شيء .

ومع ذلك لا يُقال عنه شيء .

ولا أنه تعالى لا شيء .

وبما أنك لا تستطيع الوصول إلى الله تعالى ، فلن تصل إلى ماهية الأشياء ، بل إلى مظاهرها وظواهرها لا غير .

فأنت مظهر من مظاهر ظهور الظاهر ، واجهد أن ترى حقيقتك وماهيتك ، ولكن هيهات .

كل مظهر من مظاهر الكون جدير بالدهشة والإعجاب والانبهار .

كل ما في الكون خَرْق عادة ، وإن اعتبره العامة عادة .

نحن نعيش الآن في عصر المعجزات .

قوم موسى عليه السلام انبهروا بالعصى لما انقلبت حية ، وأنا أنبهر بكل ذرة من ذرات العصى .

من يوم أن نزل قوله تعالى : ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىۡءٍ﴾ {فصلت : ٢١} ، وتغير وجه الزمان ، ولم يعد هناك ما يسمى جماداً ، بل الكل

ناطق ، فضلاً عن أنه مسبح بحمد الله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ {الإسراء : ٤٤} .

فكل شيء جدير بالاحترام والتقدير ، من أجل شيئيته فحسب ، لا لشيء زائد ، فما من شيء إلا وهناك من شيأه .

وكل شيء في هذا الزمان قد سمعنا صوت تسبيحه ، من الذرة إلى المجرة ، ومع ذلك لا نفقه ذلك التسبيح ، ولذلك قال تعالى : ﴿وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ {الإسراء : ٤٤} . ولم يقل : (ولكن لا تعلمون تسبيحهم) .

ولكن الله تعالى قد اختص الإنسان بما لم يمنحه للملائكة ؛ قد اختصه بعالَمِ الخيال ، وهو عالَمٌ قد وسع السموات والأرض ، بل وسع الكون كله ، بكل ما فيه ، وهو عالم قد تمرد على كل الشرائع ، حيث لا شرع يحكمه ، ولا شريعة تقيده ، وهو العالم الذي يدخله الإنسان إذا هو نام :

«رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ : عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَبْلُغَ ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ ، وَعَنِ المَعْتُوهِ حَتَّى يَبْرَأَ» (١) .

وفي هذا العالم تنقلب المستحيلات إلى ممكنات ، والماديات إلى معنويات ، والمحسوسات إلى مشاهدات ، وبالعكس . ويتحول الحرام مباحا ، والموبقات مستحبات ، والكبائر رغائب .

أما أهل الله ؛ فعندهم عالم الخيال هو عالم حقيقي في نفسه ، يدخلونه متى شاءوا ، وأينما شاءوا ، ولا تقييد على فضل الله .

وفي هذا العالم تقول للشيء : (كن) فيكون .

وفي هذا العالم وحده تستطيع أن تتخيل ماهيات وحقائق الأشياء ، كما تريد ويحلو لك . فلا تحرم نفسك من الخيال ، فإنه ظاهرة صحية ، من حُرِم منها مرض و بقدر خيالك يكون إيمانك .

فأنت تؤمن بالله ولم تره إلا في خيالك .

١- رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة وأبو داود .

وتؤمن برسول الله ﷺ ، والجنة والنار ، والملائكة والجن ، والقيامة ، وكلها في خيالك ، لأنك لم تر شيئا منها في الحقيقة .

تسعة أعشار الإيمان غيب تدركه بخيالك .

قال تعالى : ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ ﴾ {النساء : ١٣٦} ، يا من آمنتم إيماناً علميًّا ؛ اشحذوا خيالكم حتى يكتمل إيمانكم .

قال تعالى : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ {البقرة : ٣} ، والغيب هي منطقة الخيال ، فمن لا خيال له لا إيمان له .

أأبحث عن غيب وأنت شهادتي وأسأل ما كنهي وأنت حقيقتي
جعلت لنا الأكوان غيبا ومشهد وعندك كل حاضر رهن قبضة
وكيف يغيب الكون عنك وسره سرى منك مشمولا بأكرم نظرة
وما الغيب الا ما يغيب شهوده عن الخلق من خلق بأسرار حكمة
من الباطن المعبود كان بطونه وبالظاهر الفرد الظهور بشدة
وماهية الاشياء تمسك أصلها ولو تركت زالت سريعا بلمحة
حقيقته سر لديه مخبأ وظاهرها مما أبيح بمنة
حقيقة أشياء الوجود جميعها هي السر مكنونا لعين هوية
إذا سد باب الواصلين لكنهها ركبت خيال لا يحد بقدرة
تخيل كما تهوى ترى كل معجز بثوب من الإمكان يبدو بلحظة
وكل صغير أو كبير مسبح ومنكره أعمى أصم بفجوة
وما عاد من خرق العوائد خارقا ولكنما الإعجاز في الاستقامة

فجنتنا والأنبياء جميعهم لدينا غيوب لا ترى في الحقيقة

وما زاد إيمان بغير تخيل ولا زال كفر دون فيض قريحة

الجوهرة السادسة عشر

علم اليقين

قال تعالى : ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ﴾ {التكاثر : (٥ – ٦)} . محدودية الحواس ، وعدم العلم بماهيات وكينونات الأشياء نعمة عظيمة ، ولو أن الله تعالى أطلق العنان للإنسان في معرفة كنه ذرة واحدة ، وشاهد ما يجري بداخلها يقيناً ، لما استطاع أن يستمتع بحياته ، ولتحولت حياته إلى جحيم .

فحرف ﴿لَوْ﴾ في الآية الكريمة يفيد امتناعاً لامتناعٍ ، أي أنكم من رحمة الله تعالى بكم لن تروا الجحيم ، لعدم وصولكم إلى علم اليقين ، إذ كل

ما تعلمونه هو علوم كلها في نطاق الظنيات ، سواء ظنيات قريبة أو بعيدة من الحقيقة ، وهو قوله تعالى : ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {الإسراء : ٨٥} . فكل ما ظهر في الكون من علوم ، فهو قليل ، فضلاً عن أنه وهب من الله ﴿أُوتِيتُم﴾ وليس اكتسابا ذاتيًا لأحد .

معرفة علم اليقين هو من خصائص رسول الله ﷺ حيث قال : «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا**» (١) .

ومع ذلك فقد كان ﷺ ضحوكاً بسَّاماً ، وذلك لقوة حاله ، وكمال تمكنه في مقام علم اليقين .

مجال العلوم واسع ، ولكنها علوم ضدها الجهل .

حين تصل أيها العالم الحاذق إلى مرتبة تتحقق فيها ببديع قوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {النحل : ٧٤} ، وتقر بجهلك التام ،

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

فتلك مرتبة الرسوخ ، وأنت الآن في درجة الصفر .

وساعتها سينطلق الله بك إلى علم آخر ، ليس ضده الجهل .

علم لا ضد له .

لو تعلمون من اليقين علومَهُ لرأيتم أصل الجحيم عيانا
فالحمد لله الذي من فضله جعل الجهالة حرزنا فوقانا
لو كنت تسمع صوة أصغر ذرة وضجيج أنجمها انفجرت هوانا
ولقمت تجأر في الفيافي باكيا ولهمت بين دروبها حيرانا
ولما تمتع في الأسرة عاشق بحليلة فاضت عليه حنانا
ولما تبسم ثغره من خوفه ولما استراح سلامة وأمانا
لكن رسول الله رغم رسوخه في العلم كان بربه هيمانا
علم اليقن وحقه في بحره سفنٌ تتيه ولم تجد شطآنا

الجوهرة السابعة عشر

المؤانسة

كثيرا ما يرد في القرآن الكريم والذكر الحكيم آياتٌ في مدلولها شدة العذاب للمكذبين والكافرين . وهي ما خرجت إلا من مقام مؤانسة الله تعالى لرسوله ﷺ ، حتي يسليه عما هو فيه من الحزن على قومه . وهو بذلك يستحث في رسوله ﷺ ما جبله عليه من حرصه الشديد على رحمة العباد .

﴿ حَرِيصٌ عَلَيْكُم ﴾ {التوبة : ١٢٨} ،على كل خَلْق الله . ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ فاجتمعت الرأفة والرحمة مع الحرص للمؤمنين .

فكلما رأى ﷺ ما أَعَدَّ الله للعصاة من أليم عذابه ، وشديد وعيده ، ازداد ﷺ حرصاً عليهم ، وشفقة بهم .

وكأن الله تعالى يستدر لهم حنان رسوله ﷺ ، فيدعو لهم : «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» (١) ، ومن مقام الأنس أيضا قوله ﷺ : «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**» (٢) .

ورسول الله ﷺ لا يأمر بخُلق حسن إلا وكان الله تعالى أولى بذلك الخلق ، فالله تعالى دائم الابتسام في وجه عبيده ، فإن لم تجد من تبتسم له فالله تعالى أحق من ابتسمت إليه ! قال ﷺ : «**اللَّهُمَّ الْقَ طَلْحَةَ يَضْحَكُ إِلَيْكَ وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ**» (٣) . فاصدُق الله تعالى بابتسامة ، تنل بها غاية الكرامة . فبقدر تبسمك يكون تحققك .

١- رواه البيهقي في الشعب والضياء المقدسي في المختارة .

٢- رواه البخاري في الأدب والبزار وابن حبان والبيهقي .

٣- رواه ابن أبي عاصم وابن أبي الدنيا والطبراني وقال الهيثمي : إسناده حسن ؟

ومن الخُلُق الحسن والمؤانسة قوله ﷺ : «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**» (١) ، وذلك قبل وفاته ﷺ . ومادام الرسول ﷺ يوصي بالنساء خيراً ، فالله تعالى أحقُّ بهذا وأولى ، ويكون بذلك قد استنقذ النساء من النار ، إذ لا يجتمع خير ونار !

وقال ﷺ : «**اسْتَوْصُوا بِالْكُهُولِ خَيْرًا ، وَارْحَمُوا الشَّبَابَ**» (٢) ، فاستنقذ الكهول ، واستنقذ الشباب . و الأطفال لا يدخلون النار أصلاً .

وقال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ {النساء : ١١} ، فاستنقذ الأولاد ، إذ لا يُعقل أن يوصي الله تعالى الناس على عيالهم ولا يستوصي بعياله خيراً ، قال ﷺ : «**الخَلْقُ عِيَالُ الله**» (٣) .

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٢- رواه الحاكم في تاريخه والديلمي في مسند الفردوس وأورده ابن حجر العسقلاني في الغرائب الملتقطة .

٣- رواه البزار وأبو يعلى والطبراني والبيهقي .

وقال ﷺ في مصر : «**إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ ، فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا ، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا**» (١) ، فاستنقذ أهلها .

فالله تعالى أحق وأكرم بهذا الخير .

ونحن على يقين تام بأن الله طيِّبٌ حنانٌ منَّانٌ .

١- رواه مسلم في صحيحه .

وكل عذاب في مقامات أنسه ... يسلي فؤاد المستجار برمسه

توعدهم بالنار يرضي حبيبه ... ومن أجله يعفو صبيحة عرسه

حريص عليهم أن يعذب منهمو ... كفور وإن كان الجزاء لرجسه

ألم يدع في يوم لكفار قومه ... بنيل الهدى لا بالعذاب ومسه

ومن أنسه أن كان يضحك باسما ... وينفق من فيض الحنان وحسه

فإن كان أوصانا ببسمة بعضنا ... لبعض ألا يبدا الكريم بنفسه

وأوصاك خيرا بالنساء فيا ترى ... أتحصد نبتا لم يكن عين غرسه

وأوصاك في الأولاد برا ورحمة ... وحدد ميراث الوريث بجنسه

أتحسبه من بعد ذاك مضيعا ... عيالا له جلت حظيرة قدسه

وفي أمره بالعفو بشرى بعفوه ... أيأمرنا شيئاً ويأتي بعكسه ؟

الجوهرة الثامنة عشر

أنت ثمين

الإنسان مكرمٌ منَعَّمٌ .

فما أن نفخ الله تعالى روحه الشريف فيه ، إلا وقد نقش عليها ما استودعها من أسرار الكون والمكوِّن من العلوم التي لا تتحملها العلوم ، ومن المعارف التي لا تقوم لها المعارف ، ومن الفهوم ما لا تحيط به الفهوم . وذلك هو سر القرب .

فالله تعالى منك قريب : ﴿ فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾ {البقرة : ١٨٦} .

بل وأقرب : ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ {ق : ١٦ ، الواقعة : ٨٥} .

قرباً يجعل الإنسان يتخلى عن كل علم ، ويتبرأ من كل معرفة وصفة وحال ومقام ، مكتفياً بلذة ذلك القرب . ولكن العبد لا يدرك ذلك القريب الأقرب إلا في يوم الحب ، حين تأتي لحظة الفتح الأكبر والذوق الأعظم : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ ﴾ {آل عمران : ١٨٥} .

فموت الأجساد نفسه هو حرية الأرواح ، بلا زمنٍ بينهما ، فلحظة الموت هي لحظة قيام الروح لرب العالمين ، خالصة مخلصة ، قال ﷺ : «**مَنْ مَاتَ فقد قَامَت قِيَامَته**» (١) .

قال تعالى : ﴿ مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ ﴾ {العنكبوت : ٥} ، فاللقاء عند الأجل ، لن تنتظر أحداً . فإن الله تعالى قد خلق الإنسان ، ونفخ فيه من روحه ، واستودع تلك الروح لطيفة أشرقت فيها جميع أحداث القيامة التي أخبر عنها الصادق المصدوق ، فكل إنسان مخلوق

١- رواه ابن أبي الدنيا في الموت .

وقيامته ذاتية فيه .

فبمجرد موته تقوم قيامته ، ويري جميع أحداثها ، ويري كيف تشرق الأرض بنور ربها ، و يري مقام نبيه المحمود وهو يسجد تحت العرش ، ويحمد الله بمحامد لا مثيل لها ، ويشفع في الخلق كله شفاعة مقبولة .

ويرى ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ {الزمر : ٧٥} ، وساق العرش مكتوب عليها : «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله**» (١) .

١- روى الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «**لَـمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الخَطِيئَةَ قَالَ : يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَا غَفَرْتَ لِي ، فَقَالَ اللهُ : يَا آدَمُ ، وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّدًا وَلَمْ أَخْلُقْهُ ؟ قَالَ : يَا رَبِّ ، لِأَنَّكَ لَـمَّا خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوبًا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلَّا أَحَبَّ الخَلْقِ إِلَيْكَ ، فَقَالَ اللهُ : صَدَقْتَ يَا آدَمُ ، إِنَّهُ لَأُحِبُّ الخَلْقِ إِلَيَّ ادْعُنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ وَلَوْلَا مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ**»

وفوق العرش مكتوب : «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**» (١) .

ويرون الله : ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ {الفجر : ٢٢} .

وإذا بدا الجميل احتجب كل شيء .

فلا زمان ولا مكان ولا أكوان ولا إمكان .

حيث لا يتبنَّاهم كون ولا يعرفهم أين .

الكل غائب في جمال المعبود .

الجميع سكارى من شدة الوجد ، وغلبة أنوار الأحد الفرد .

حيث يتجلى تعالى بالجمال ، والحب والوصال ، واللقاء والاتصال .

فذلك يوم الحج الأكبر ، والقرب الأقرب لجميع الأرواح .

ومن كان الله تعالى أقرب إليه من كل شيء فقيام الساعة عنده لا شيء .

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، **قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ** ﷺ : «**لَمَّا قَضَى اللهُ الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ العَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي**» وفي رواية : «**إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي**»

فالله تعالى هو مقصود القاصد من جميع المقاصد .

هؤلاء القوم إذا نظروا إلى الجنة نعَّموها .

أو إلى النار أطفأوها : «**جُزْ يَا مُؤمِن ، فَقَدْ أَطْفَأَ نُورُكَ لَهِيبِي**» ، وفي رواية : «**لَهَبِي**» (١) .

يشاهدون لذة إمداد الله لهم بحوله وقوته ، لا بحولهم وقوتهم .

لا الجنة تلهيهم ، ولا جميع لذات الكون تكفيهم .

ولا يملؤهم إلا الله تعالى .

هؤلاء ينعمهم الله بنفسه ، ويؤنسهم بأنسه .

والحب ثابت في قلوبهم مهما كان فيه من إنعام أو إيلام . أو تقريب أو إبعاد ، أو وصال أو هجران أو حرمان ، أو إعزاز أو إذلال ، ليقينهم بأن ذات الله الأقدس كمال لا نقص فيها ، وحكمة لا هزل فيها .

١- رواه أبو نعيم في الحلية وتمام في فوائده والبيهقي في الشعب والحكيم الترمذي والديلمي والمناوي في فيض القدير .

فكل ما يفعل المحبوب محبوب .

وكل شيء من المليحِ مليحُ .

سباهم جماله بنظرة .

وأسكرهم كماله بلحظة .

محمولون على التحقيق ، محفوفون بالتوفيق .

إذا عرفت ذلك ؛ فقد تلقتك يد العناية ، ووصلت إلى الغاية .

وقد أغنى التلميح عن التصريح ، وأغنت الإشارة عن العبارة !

في الله -إن فقدوا في غيره- الوطن　　وعنه لا عوض يغني ولا ثمن

أنوار نفخته فيهم مقدسة　　فيها المعارف والآفاق والمدن

فلا المكان مكان في جوانبها　　ولا الزمان على تجريدها زمن

تكاد تطفأ نور الشمس لمعتها　　لولا تعلق في أطرافها البدن

حرية الروح موت الجسم لو فطنوا　　وثوب أعراسها الحانوط والكفن

فالموت فك أسير كان محتبسا　　وبالقيود وحمل الضر مرتهن

من مات قامت بلا شك قيامته　　في روحه وبها الجنات والفنن

فيها الذي ما رأت عين ولا خطر　　على القلوب ولم تسمع به أذن

كل الخلائق سطر في صحائفها　　عفا كما عفت الآثار والدمن

فيها من القرب ما تنسيك لذته　　حور الجنان إذا أوهى بها الوسن

العرش فيها على أركانه نقشت　　أغلى وأجمل ما يمحى به الوهن

ورحمتي سبقت من أجلكم غضبي　　فليس يدرككم خوف ولا حزن

حتى إذا ما أتى الميقات وانكشفت حجب الجمال فلا منح ولا محن

بدا الجميل لهم في صورة فغدوا سكرى تطيح بهم في موجها المنن

سبتهم نظرة هاموا بها طربا كما تهيم بريح الغارق السفن

ينعمون نعيم الخلد ان نظروا إليه شذرا ولو زادوا ليفتتن

الجوهرة التاسعة عشر

أنت شيء

أبشر فأنت شيء .

ومن حيث شيئيتك فقد وسعتك الرحمة .

قال تعالى : ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

وشملك الإحسان : ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴾ {السجدة : ٧} .

حتى إبليس ؛ فقد أحسن الله خلقه ، من حيث إنه شيء ، فجعله صالحاً لمهمته في الإغواء : ﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ﴾ {طه : ٥٠} .

وشهد الله لشيئيتك بأنها مسبحة بحمده : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ﴾

{الإسراء : ٤٤} ، حتى السكون والسكوت مسبحٌ لأنها شيء .

الكل ناطق : ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ {فصلت : ٢١} .

وضمتك جنة علم الله تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ {غافر : ٧} ، و تلك هي شيئية ثبوتك في أنوار علم الله القديم ، حيث حقيقتك الثابتة في غيب نور الألوهية ، مسبحةٌ بحمد الله تعالى .

وإذا بنور الله تعالى يوقظ الأشياء شيئاً بعد شيءٍ ، بعد أن كانت في غيب خزائن علم الله : ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ ﴾ {الحجر : ٢١} ، فتقوم لرب العالمين ، ويمتد منها ظلها إلى عالم الوجود : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ﴾ {الفرقان : ٤٥} ، قال ﷺ : «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَ خَلْقَهُ فِي ظُلْمَةٍ ، فَأَلْقَى عَلَيْهِمْ مِنْ نُورِهِ**» (١) .

١- رواه الترمذي (وحسنه) وأحمد والبيهقي وابن بطة والحاكم وصححه وابن حبان والطيالسي وابن بشران وابن أبي عاصم والآجري واللالكائي .

فتخرج من شيئية الثبوت ظلالها ممتدةً ، إلى شيئية الوجود ، فتتميز عن بعضها ؛ فهذا إنسانٌ وذاك حيوانٌ وذا طائرٌ ، وهذا طائعٌ وذلك عاصٍ .

وتتفاوت الأسماء والصفات ، بعد أن كانت شيئاً واحداً في أحدية نور ثبوتها وبطونها ، فثبت التفضيل ، وارتفع التضليل .

فإن شملتنا رحمته بقوله : ﴿ يَٰعِبَادِيَ ﴾ {الزمر : ٥٣} (١) ، ولكن وقع التميُّز والتمييز في محبته . فالكل مرحومٌ من أول صدِّيقٍ إلى آخر زنديقٍ ، وليس الكل محبوباً .

فالخلق إما مرحومٌ أو محبوبٌ ، والحمد لله رب العالمين .

وقد شهد الله للظلال بأنها ساجدةٌ لله : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ ۩ ﴾ {الرعد : ١٥} ، فما من

١- اقتباس من الآية : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ {الزمر : ٥٣}

ظلٍّ ساجدٍ إلا عن حقيقة مسبِّحة !

والآن وقد انفهقت ظلال وجودها وإيجادها ، وظهر السر المكنون والنور المصون بين الكاف والنون ، وأفاض الله تعالى على الأشياء بأشياءٍ ، وعلى قدر ما أفاض من أشياء تباهت الأشياء بأشيائها على باقي الأشياء ، فرأت الأشياء أشياءَها ، ولم تر مُشيِّئها ، فحجبت بأشيائها ومشيئتها عن مشيئة مشيِّئ الأشياء ، فهلكت مع الهالكين : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ {القصص : ٨٨} ، فاستثنى تعالى من ذلك الهلاك الأشياء التي رأت مشيئة وجه الله سارية فيها ، قائمة عليها .

فكل شيئيات الوجود هالكة .

والوجه هو شيئية الثبوت ، حيث لا هلاك ولا إهلاك ، ولا فزع ولا حزن ، ولا ألم ولا مرض ولا خوف : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ {يونس : ٦٢} ، ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ

ٱلۡأَكۡبَرُ﴾ {الأنبياء : ١٠٣} ، إذ كل فزع بالنسبة إلى فزع يوم القيامة (فزع أصغر) ، ﴿وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ {النمل : ٨٩} .

شيئيتك الثابتة هي حيث هواك ، فانظر أين هواك ، فثَمَّ حقيقتك .

والله تعالى لا يُقال عنه شيء ، ولا يُقال عنه لا شيء .

اللهم أفض علينا من أنوار وجهك ، إفاضة تفنينا بها عن هلاك شيئية وجودنا ، و تثبتنا بها نوراً من أنوار جمالك .

فؤاد على عرش الرضا متربع وكف من الدنيا الغرورة بلقع

ولست نبيا يا فؤادي وإنما جمعت من الأوصاف ما ليس يجمع

وما تبتغي من عرش بلقيس إذ بدا وقدرك عن ملك الخلائق أرفع

أغرك أن لباك.من غير دعوة وجاءك يجتاح الغيوب ويسرع

إذا امتلأ الإنسان بالحب والرضا تصاغر في عينيه ما كان يطمع

أمن بعد تحقيق الوصول بثابت لشيئية فيها السعادة أجمع

نتوق إلى الدنيا ونهوى وصالها ووصل الهوى عن ساحة الوصل أقطع

وحسبك في شيء الثبوت نداؤه فتسكت أصوات الوجود وتخشع

ومن حيث أنت الشيء أنت مسبح ولو ظاهرا في ساحة الكفر ترتع

وأنطقك الله الذي كل صامت بقدرته أضحى يقول ويسمع

وتم لك الإحسان في الخلق فالذي تراه قبيحا في الحقيقة أبدع

وكل له دور يجيد أداءه بحسن له من دقة الفهم موقع

فإن كان شيطانا فإغواؤه سرى بسر وما في ذلك السر مطمع
وإن كان مهدي الطريقة هاديا ومن وجهه شمس الهداية تطلع
فبالفضل إن الفضل بحر عناية وكل إلى بحر العناية يرجع
فلم يخل من حسن قبيح ولا خلا من القبح فتان المحاسن أروع
ثبوتية الأشياء في علم ربها خزائن سر في الغيوب تجمع
وتوقظها الأنوار من طول غفلة فتزهر في أرض الوجود وتينع
تقوم لرب العالمين وظلها يرتق أثواب الوصال ويرقع
تمدد من شيء الثبوت كماله ليظهر في شيء الوجود فيتبع
فإن لبست ثوب الوجود تميزت فذاك كفار وذياك طيع
تباينت الأسماء عند ظهورها فكل له حكم إليه يشفع
فكن طائعا أو كن كفورا منافقا فظلك في كل المحاريب يركع
أفاض على الأشياء شيئاً يزينها فتاهت دلالاً والدلال ممنع

وما أبصرت نور المشيء كنهها ولكن رأت شيئا يضر وينفع

فأهكلها إبصارها لذواتها لتشرب من كأس الهلاك وتكرع

ثبوتك في أمن وظل وجوده يأمن في طور الوجود ويفزع

الجوهرة العشرون

الألوهية والربوبية

قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ ﴾ {الزمر : ٦٢} .

فالألوهية : هي مرتبة الخلق والإيجاد ، واسم هذه المرتبة العظيمة (الله) .

والربوبية : مرتبة العطاء والإمداد بجميع الأسماء والصفات التي لا يحيط بها الحد ولا يحصيها العد .

وأسماء الربوبية يسع بعضها بعضاً ، وينوب بعضها عن بعضٍ ، ثم تسعهم جميعا إحاطة اسمه الرحمن : ﴿ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

وهذا الاسم هو الاسم الأعظم ، المستوي على عرش عروش الأسماء

والصفات : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ {طه : ٥} ، فليس يظهر للخلق أي تجلٍّ من الحق إلا من خلال استوائه برحمانيته .

حتى لو أن الله تعالى عذب أحداً من خلقه – وحاشاه أن يعذب من رجاه – فهو عذاب من حضرة الرحمن : ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ {مريم : ٤٥} .

وهذا الاسم هو ملك أسماء الربوبية يوم القيامة : ﴿ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ {الفرقان : ٢٦} .

- **الألوهية** : تخاطب الخلق كله بلسانٍ واحدٍ على حد التساوي ، فالجميع في مرتبة الإيجاد أشياءٌ تخضع لإرادة مشيئتها : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍۖ﴾ {الزمر : ٦٢} ، من أصغر ذرةٍ إلى ما بعد المجرة ، ثم يقع التكريم بعد ذلك على قدر إمداد الربوبية لذلك الشيء بالأسماء

والصفات : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ {الإسراء : ٧٠} .

والربوبية : تخاطب كل طائفةٍ بلسانٍ ؛ فتخاطب المؤمنين بلسان الترغيب والتبشير : ﴿ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴾ {يس : ١١} ، وتخاطب الكفار بالوعيد والتهديد : ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ {التوبة : ٣} ، وتخاطب العصاة والمسرفين بالمغفرة و الحنان حتى يعودوا إلى ربهم : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ ﴾ {الزمر : ٥٣} .

- **الألوهية** : تقول : ﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ ﴾ {الأنبياء : ٢٣} .

والربوبية : تقول : ﴿ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴾ {الفرقان : ١٦} .

- **الألوهية** : تقول : ﴿ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ {مريم : ٩٤} .

والربوبية : تقول: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ {الصافات : ١٤٧} .

- **الإله** : لا يوجب شيئاً على نفسه ، ولا يكتب أمراً على قداسته ، ولا يحرم شيئا على عزته ، وليس هناك حتم عليه .

أما **الربوبية** : فهي مرتبة الإفهام والتجلي للخلق بما يفهمون ، فتجد الله تعالى يتنزل مع خلقه ، فيقول :

﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ {الأنعام : ٥٤} .

«قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ» (١) .

« قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي» (٢) .

﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ {مريم : ٧١} ، وهذا الحتم من الورود على النار هو من حضرة الربوبية ، كما تقتضيه كلمة : ﴿رَبِّكَ﴾ في الآية الكريمة ، ومادامت من حضرة الربوبية

١- رواه مالك وأحمد والطبراني والبيهقي والحاكم وصححه وأقره الذهبي .

٢- رواه مسلم في صحيحه .

فأسماء الرحمة تسع حتميات القضاء ، وتسبق أسماء الرهبوت والجبروت إلى الخلق : «**سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي**» (١) ، والغضب أشد من العذاب ، فإذا وسعت الرحمة الغضب ؛ فسعتها للعذاب أولى .

وإذا قضت ذنوب الخلق بأن يُحشر الناس حفاةً عراةً يوم القيامة ؛ سبق اسمه الستار ، فوسع الخلق فسترهم ، وتحققت الكرامة : ﴿ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ {الإسراء : ٧٠} . فمادام الأمر في حضرة الربوبية فمآله إلى الرحمة التي وسعت وشملت .

و كل رحمات الربوبية جزء من مائة جزء من رحمات الألوهية .

قال رسول الله ﷺ : «**إِنَّ اللهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً ، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً**» (٢) . فالذي أنزلها هي رحمة الربوبية ، فإذا كان يوم القيامة

١- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

٢- رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما .

واستمطر الخلق رحمة ربهم ، أناب الله تعالى رسوله ﷺ في استدرار رحمات الألوهية ، بما أنعم عليه من مقام محمود وثناء مشهود .

فيقوم ﷺ من سجوده تحت العرش قائلاً : «**يَا رَبِّ ، ذُرِّيَّةُ آدَمَ لَا تُحْرَقِ الْيَوْمَ فِي النَّارِ**» (١) . صدق رسول الله ﷺ فيما بلَّغ عن ربه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

ومن تحقق بوجود أنوار كينونة رسول الله ﷺ فيه بقول الحق سبحانه : ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ {الحجرات : ٧} ، وقوله : ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ {البقرة : ١٥١} ، لم يصبه عذابٌ أبداً ، تحققاً بقول الحق : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ﴾ {الأنفال : ٣٣} .

١- رواه الآجري في الشريعة وابن عساكر في تاريخه .

أجل أحب وقلبي في الهوى خضعا واستعذب الشوق حتى الخوف والفزعا

وبي من الوجد ما لو حل أصغره رفقاً على جبل التوباد لانصدعا

أسائل النجم عنهم أينما رحلوا وأضرب الرمل بل أستخبر الودعا

وما تركت طريقا قد توصلني إليهمُ لم أسر في دربها هلعا

راحوا ولم يتركوا من بعدهم أثرا للباحثين ولا للجن مستمعا

لهفي عليهم بهم عين الهوى فقأت من غير ذنب وأنف العز قد جدعا

الدهر فرق ما بيني وبينهم وجمَّع اليأس في عيني فاجتمعا

وكم تزودت منهم قبل فرقتنا فما أستفدت به شيئا ولا نفعا

وكم نهلت وكم منهم ملأت فمي فما ارتوى منهمُ قلبي ولا شبعا

كانوا كما الماء لما أن قبضت يدي عليه سال ومن أطرافها نشعا

يا عين جودي عليهم وامزجي بدم دموعك السود إن الخطب قد بشعا

ما ضاق أمر ولا سدت منافذه إلا تجلى عليه الله فاتسعا

لله ذات وكل الخلق يجهلها ... لا تقبل الوصف مهما فيه قد طمعا

وفي الألوهية العلياء مرتبة ... باسم هو (الله) من علياءه سطعا

منها سرى مظهر الإيجاد من عدم ... فأبدع الله من أسرارها البدعا

يخاطب الله فيها من ألوهته ... شيئية الخلق إيجادا إذا وقعا

فالكل شيء ينادى في تجرده ... مهما تعاظم هذا الشيء وارتفعا

لا يسأل الله فيها جل جانبه ... عما يقوم به وترا وما شفعا

الله أحصى وأحصى كل ذي عدد ... عدا وما غاب من شيء وما وضعا

أما الربوبية الأدنى بمرتبة ... فشأن حضرتها إمداد ما ابتدعا

فيها تكاثرت الأسماء واتسعت ... في بعضها بعضها مما قد اجتمعا

وكل ما كان من وسم ومن صفة ... أحاطه باسمه الرحمن إن وقعا

فليس يبرز إلا باسم رحمته ... من كل أسمائه إن جاد أو منعا

حتى العذاب فمحفوف برحمته ... لم يخل من وصلها شيء وإن قطعا

وإنما الملك للرحمن يومئذ — وما سواه فعن أوصافه افترعا

فيها تجلى على الأفهام خالقها — حتى يقرب للأفهام ما امتنعا

فيها يحتم أشياء ويكتبها — حتما على نفسه جودا وما رجعا

وكل ما كان من بطش ومن غضب — ترى له من جمال اللطف متسعا

يا حضرة كل أسماء الجلال بها — مآلها رحمة من غير ما شُفعا

حتى إذا زاد بالخلق البلاء وعم — والكل تحت لسان القهر قد خشعا

أناب ربك عنه سر رحمته — فاستمطر الرحمة العظمى وما انتجعا

صلى الإله عليه باسم عزته — ما غاب بدر السما ليلا وما طلعا

الجوهرة الحادية والعشرون

المحبوبون

أول ما يعطي اللهُ لأهل محبته حسنات الثقلين ، بنسبة رب لعبد .

وهم يقبلونها منه تعالى تأدباً .

واهبين جميعها للخلق .

اكتفاءً بحب الله تعالى .

ويصبح ذلك المحبوب كعبةً تحج إليها الملائكة ملبين مكبرين متبركين .

ويباهي الله تعالى به ملائكته .

إذا قال المحبوب (الله) ؛ وُزنت عند الله بالسموات والأرض والكرسي والعرش .

لو لم يخلق الله من بني آدم سوى محبوب واحد ؛ لكفى أن يقولَ تعالى فيهم : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ {الإسراء : ٧٠} ، ويقولَ للملائكة : ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ {البقرة : ٣٠} .

المحبون تحت ظل العرش .

والمحبوبون تحت ظل الله ، فأولئك : «أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي» (١) .

و العرش ومن في ظله من المحبين تحت ظل المحبوبين .

جميع حسنات العباد قطرة في بحر العلماء ، وجميع بحار العلماء ذرة في كون المحبين ، وجميع حب المحبين هبأة في عوالم المحبوبين .

لا معنى للمحبين بغير الجنة ، ولا معنى للجنة بغير المحبوبين .

المحبون عرفوا الله بالمعارف والعلوم ، والمحبوبون عرفوا الله بالله ، فآوت

١- روى مسلم في صحيحه عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَيْنَ الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلَالِي ؟ الْيَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»

إلي قلوبهم المعارف والعلوم ، فالله أقرب إليهم من كل علم أو معرفة .

المحبوب لا يستوقفه الحديث ، إنما يستوقفه جمال المحدث .

المحبوبون في فجوة من الزمان والمكان .

يمرون على الزمان ولا يمر عليهم .

ويتمكنون من المكان ولا يتمكنهم .

﴿ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ﴾ {الكهف : ١٧} .

يا حلق وادي الهوى يا حلق واديها ... تفدي شواطئك الدنيا وما فيها

إلا بقية أطلال ببسكرة ... فإن كل بقاع الكون تفديها

كانت مرابع للآرام مبهجة ... لا يشرق الحسن إلا من روابيها

فيها وفيها من الغزلان فاتنة ... لم يسلم القلب يوما من مراميها

تحيي وتقتل في آن بنظرتها ... فكم أماتت نفوسا ثم تحييها

وكل قلب له في حسنها ترة ... ومنة ليس يدري كيف يسديها

إذا عليك تجلت في مفاتنها ... تحتار روحك أم عينيك تهديها ؟!

جلت عن الوصف أن تؤتى محاسنها ... فلا يعبر لفظ عن معانيها

وإن أبلغ ما يأتيه ناعتها ... سبحان مبدعها سبحان منشيها

سلم لربك تسلم من غوائلها ... من غير شك وأعط القوس باريها

فإنها مظهر لاسم الجمال وقد ... بدا الجميل جليا في تجليها

كم عاشق صورة لم يدر من حجب ... بأن معشوقه الله الذي فيها

لذا فربك يعطي للمحب غدا أجر الخلائق في أعلى مراقيها

فيقبلون عطاء الله من أدب ويبذلون العطا جودا وتنويها

ويكتفون بحب الله إن لهم في ساحة الحب تقديسا وتنزيها

ويصبح المرء منهم كعبة وله حج الملائك يغشاه ملبيها

لو قال (الله) في ذكر وقد وزنت بالكون لم يستطع كون يوفيها

لو لم يكن في ثنايا الكون أجمعه إلا محب لأغنى عن بواقيها

أما المحب فظل العرش يستره يوم القيامة من شمس يعانيها

والله في ظله المحبوب يرفل والـ أكوان في ظله بالحب يحميها

وكل ما أحرز العباد قطرة ما في عالم بعلوم الشرع يرويها

والعالمون كقطر في بحار فتى بالحب ينشر أنفاسا ويطويها

كذا المحبون مهما زاد شأنهم كشربة الماء في المحبوب يسقيها

وبالمعارف أهل الحب قد عرفوا محبوبهم وأجادوا في مبانيها

ويستلذ لهم حسن الحديث إذا ما الله حدَّثهم بالروح يلقيها

وكل محبوب اختارته حضرته له المعارف تأوي من مجاليها

يعيش في فجوة الإطلاق من زمن تحيا الحياة به حتى يرقيها

له التمكن في كل الأماكن بل في فجوة منه لا تدرى نواحيها

وفي المحدث جلت ذاته غرقوا لا في الأحاديث حتى غيبوا تيها

الجوهرة الثانية والعشرون

الاطمئنان

قال تعالى : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ {المائدة : ٥٤} .

فحب الله لعباده حب أزلي أبدي سرمدي ﴿ يُحِبُّهُمْ ﴾ .

لا توقفه معصية عاصٍ ، ولا تستدره طاعة طائعٍ .

وهذا الحب مغروسٌ في بواطن أسرار الأرواح .

فمن عرف متعلَّق حبه يسعد ﴿ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ .

ومن جهله يشقى .

أول ما نزل على رسول الله ﷺ : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

تعريف بالله ، وأنه رحمنٌ ورحيمٌ .

ولما أراد تعالى أن يزرع الطمأنينة في قلوب عباده قال : ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ﴾ {الأعراف : ١٥٦} .

ولما كان العباد لا يستوثقون إلا بالكتابة ، تنزل ربنا تعالى وقال : ﴿كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَۖ﴾ {الأنعام : ٥٤} .

ولا اعتماد لنا إلا على رحمة الله التي وسعت وعمت وسبقت .

بل كل الاعتماد على الله تعالى ، فهو أرحم من رحمته ، وألطف من لطفه ، وأجمل من جماله ، وأكرم من كرمه .

كل الوجود محبوب مرحوم . لا يخرج عن حِضن الله ورحمته أبداً .

والله تعالى يحضن عباده تارة في مظهر أم أو أب أو حبيب أو وطن أو كون ، إن بطن مظهر ظهرت مظاهر .

فقط قدِّس ذاتك أن تكون ساحة للقتال والخلاف والجهاد والتخاصم

والشقاق ، ولتصطلح روحك وعقلك ، وقلبك ونفسك ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾ {النساء : ١٢٨} .

فتكون آمناً مطمئناً في درجة الصفر .

لا أنت موجود ، ولا أنت مفقود .

فيمر الزمان بلا زمان ، ويحضر المكان بلا مكان .

ويصير كل شيءٍ بلا شيء .

وتقصدك العلوم والمعارف والأنوار رغداً من كل مكان .

ولكنها لا تخرجك عن صفريتك .

فترى الله تعالى قبل كل شيء .

ومن في هذه الدرجة فإنه على خطر عظيم .

إذ لو مرت لحظة لم ير الله فيها ، أو رأى الله بعد الشيء ، أو في الشيء ، حكم بردته وكفره ، إذ لابد مَنْ ذلك حالُه أن يرى الله قبل كل شيء .

إذ أن الله تعالى أقرب إلينا من كل شيء

وإن خطرت لي في سواك إرادة علي خاطري سهوا حكمت بردتي

وقد جَبَلَ اللهُ تعالى رسولَه على مكارم الأخلاق .

وذروتها الرحمة لجميع أمته .

- وأمته كانت العرب أولاً :

﴿ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ ﴾ {البقرة : ١٥١} .

- ثم أرسله الله تعالى إلى الناس كافة :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ {سبأ : ٢٨} .

- ثم إلي العالمين :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ {الأنبياء : ١٠٧} .

و (العالمون) هم كل ما سوى الله : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴾

فرسول الله ﷺ مبعوث للإنس والجن والملائكة والطيور والحيوانات

والجمادات ، فالكل أمته .

وقد كان رسول الله ﷺ يستغفر لأمته في كل صلاة ، والملائكة تؤمن على استغفاره ، كما ورد في الصحيح ، وهذه بشرى عظيمة دائمة متصلة ، وذلك لما ورد من دوام حياته ﷺ .

وإذا كان يفعل ذلك لنا وهو في دار الدنيا ، فما ظنكم به ﷺ وهو في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، والحمد لله رب العالمين .

يا غائبين عن العيون قلوبنا ... تحيا بذكركم الجميل وتنبض
إن حالت الأيام دون لقائنا ... حتما سيجمعنا الكثيب الأبيض
ختمت على قلبي محبتكم فلا ... أسلو غرامكمو ولا أتبغض
حبي لكم نسك علي وشرعة ... والحب أوجب ما يسن ويفرض
حب يورث كاملا عن كامل ... وهبا فلا ينمو ولا يتبعض
نور إلهي تخلل مهجتي ... أرنو به الدنيا وجفني مغمض
فالله كرمنا بحب سابق ... ثبتت دعائمه فلا يتقوض
لا يستدر بطاعة من طائع ... أبدا ولا بالذنب حب يرفض
حب من الأزل السحيق بخيله ... يجري إلى الأبد الكريم ويركض
غرست بأرواح الخلائق فاستوت ... غصنا على ساق يقوم وينهض
والله طمأنهم برحمته التي ... وسعت خلائقه فليست تقبض
فضلا ووثقها لهم بكتابة ... تتلى على ساق العروش وتقرض

فاعلم بأن الله أرحم رحمة من وصف رحمته الذي لا ينقض
وأحن ذاتا من صفات حنانه وبه يداوي من يشاء ويمرض
والكون حضن الله يحضن خلقه طورا بجوهره وطورا يعرض
فالوالدان أو الحبيب وموطن الـ إنسان حضن الله فهو يعوض
وإذا مظاهره تبطن بعضها فجناح رحمته عليهم يخفض
فاربأ بنفسك أن تكون كساحة للحرب فيها كل أمن يجهض
وانزل إلى الصفر العظيم تكن به رقما بلا رقم فلا يتريض
لا أنت مفقود ولا الموجود في زمن بلا زمن وأنت مفوض

الجوهرة الثالثة والعشرون

الفتح

من جعل اللهَ تعالى قبلتَه ، ورأى اللهَ تعالى في كل شيء ، وشكر الله تعالى على كل شيء ، توالت عليه الأنوار والفتوحات ، اختباراً لصدق إرادته ، وابتلاءً ليقين دعيته .

فيتوالى عليه الفتح مرحلة بعد مرحلة .

فأولها الفتح الكوني ، فإذا اجتازه بنجاح – وقليل من يصدق – تلقفه الفتح الملكوتي ، وفتنته أكبر وامتحانه أعظم .

- **الفتح الكوني :**

وهذا نوع من الفتح يصله الإنسان بكثرة الذكر ، كما يصله بالرياضات والتأمل واليوجا وغيرها .

فيرى عوالم المُلك من الجن وغيرها ، لا يختفي منها عالم ، ويصير له تصريف وتحكم عليهم ، لأن قوة هذه العوالم في اختفائها ، فإذا أبصرها ملكها .

ويرى السماء وما فيها من أسرار الكواكب والنجوم إلى السماء الأولى ، وتصير تكلمه الجمادات والحيوانات والطيور ، ويعرف لغاتها وقصصها ، ويصبح وقد عرف أسرار الأحجار ، وخصائص النباتات ، ومنافع الجمادات .

ويطَّلِع علي قلوب الخلق ، وما فيها من أسرار .

إنها فتنةٌ عظيمةٌ حقًّا . وغالب من ادعى الحب لله تعالى والسير إليه ، تعجبه تلك الأعاجيب ، ويحبس فيها ، ثم يطرد منها . ومن نجا من الفتح الكوني ، و غض عنه الطرف ، ابتلاه الله تعالى بالفتح الملكوتي .

- **الفتح الملكوتي :**

وذلك الفتح لا يصل إليه العبد إلا بالذكر . وفيه تفتح لهذا العبد أبواب السموات والملكوت ، ويرى ما فيها من العجائب والغرائب ، ويصير جليساً للملائكة ، ويسبح في أنوار المعارف والفهوم .

إن كان قد نجا من الفتح الكوني الظلماني ، حيث شهوات النفس ، فقد أهلكه التشوف إلى شهوات الروح بالفتح الملكوتي النوراني .

وأقل القليل مَن ينجو مِن الفتح النوراني .

- **الفتح الرباني :**

ولا يتجاوز إلى الفتح الرباني إلا واحد زمانه .

مَن يستخلصه الحق مِن بين العباد ، ويجتبيه بلا اجتهاد .

﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي﴾ {طه : ٤١} .

ويصطفيه لنفسه ، لا لفتح ، ولا لشهوة ، ولا لدنيا ، ولا لآخرة .

بل يجعله عبداً متحققا بعبوديته ، و هو محض فضل من الله تعالى .

لا يُحتال عليه بذكر ، ولا بتعمّل طاعة .

وعبد الاصطفاء والاجتباء عبد كريم على ربه ، فلا يبدأ بعوالم الظلام ، ولا يمر بعوالم النور ، وإنما يبدأ برؤية رسول الله ﷺ ، وهي الرؤية الفتوحيه ، فيكون ذلك العبد منطلقاً ، وفي طرفة عين يفجأه رسول الله ﷺ ، فيراه مِلء المشرق والمغرب ، بل يفنى المشرق والمغرب ، ولا يرى إلا رسول الله ﷺ فيكون الكون غيبا ، ورسول الله ﷺ شهاده ، وحينها

يأمن من السلب بعد العطاء . فيبدأ فتحه برسول الله ﷺ ، ويختمه برسول الله ﷺ . فهو الفاتح والخاتم .

ويفنى ذلك العبد عن نفسه ، ويقوم به رسول الله ﷺ ، ويحققه بمكارم الأخلاق المحمدية ، ثم يرده إلى الناس محملاً بأنوار الخلافة عن رسول الله ﷺ .

أما من يرى رسول الله ﷺ في الفتح الظلماني أو النوراني ؛ فلا يراه على حقيقته ، وإنما يراه في صورة من صوره ، ويراه على قدره ، لا على قدر رسول الله ﷺ .

ولا يشترط في ذلك العبد مروره بتلك العوالم ، فيكون فتحه ربانيًّا محضاً ، كما كان بين سيدنا موسى والخضر عليهما السلام ، فقد كان فتح سيدنا موسى عليه السلام ربانيًّا محضاً ، وما قام به الخضر كان تصريفاً في عوالم الفتح الكوني ، ولذلك أنكر عليه موسى عليه السلام ، وكأن الله يمن على سيدنا

موسى عليه السلام أنه لم يدخله هذه العوالم ، ولم يختبره بها ، إنما فاجأه بكلامه والتعريف به : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ ﴾ {طه : ١٤} ، ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ {النمل : ٩} ، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ {القصص : ٣٠} .

والعبودية المحضة هي الفتح الرباني والسر الصمداني ، وهي الفتح الأكبر ، ولن تصلها إلا إذا كنت صفراً . فمن كان صفرا فقد فتح عليه الفتح الأكبر .

فمن عرف كل شيء فإنه لا يصلح لشيء .

فلو عرفت عدد مثاقيل الرمال ، وعدد قطرات الأمطار ، ورأيت كل ذرة في الكون ، وتحكمت في كل حركة وسكون ، وأوقفت الزمان ، وأذهبت المكان ، وصرَّفت الأكوان ، فأنت لا تصلح لعبودية الله ، وليس لله حاجة فيك ، بل أنت مطرودٌ ممحوقٌ .

فتحقيق العبودية هي مراد الربوبية :

﴿ سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ {الإسراء : ١} . فتحقق .

﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ {النجم : ١٧} . فلا تلتفت .

إذا كررت ذكراً بأعدادٍ كبيرة ، أو قرأت آية وكررتها بأعداد كبيرة ، فإن الملائكة الموكلين بهذه الأذكار تنزل عندك في خلوتك ، لتعقد معك صداقةً ، فقد شاركتهم في ذكرهم ، ويتآخون معك ، ولكن لا تطلب منهم شيئاً ، فأنت – من كونك إنسان – أرفع منهم درجة ، وأقرب إلى الله زلفى .

هم يطلبون منك ، وأنت تطلب من الله .

إذ ليس فوق الإنسان إلا الله .

ذلك عبدٌ يباهي الله به ملائكته ، ويهتز العرش إجلالاً لمقامه !

شتَّ الحبيب ولم يكن بشتيت وتزلزلت قدماك بعد ثبوت

فانهارت الدنيا بعينك فجأة حتى كأنك يونس في الحوت

فأتى لك الفرج العظيم بمن له قدم الرسوخ بنوره اللاهوتي

لو عيب شيء فيه عيب بأنه متجسد في العالم الناسوتي

ينبيك عن فتح الفتوح جبينه في بسمة من ثغره الياقوتي

قد قال لي إن الفتوح ثلاثة محفوفة بمخاطر الرهبوت

فالأول الكوني وهو ميسر برياضة من خلوة وسكوت

فترى العوالم لا يغيب شهودها من عرشها لقرارها البهموتي

والجن خدام وكل شجيرة تنبيك عن أسرارها بنعوت

فإذا انشغلت بها حبست بسجنها حينا لتطرد طردة الممقوت

فاحفظ فؤادك إنما هي فتنة فيها تضل معارف الخريت

وبها من السحر العظيم مكائد لم تلقها في سحرك الهاروتي

فإذا نجوت وقل من ينجو بها | بدأ البلاء بفتحك الملكوتي
ثاني الفتوح وباب أعظم فتنة | للعابرين ببحره الجبروتي
فتجوب أقطار السماء وما بها | وترى الملائك رؤية المبهوت
فتن جسام لا نجاة لخائض | فيها بغير عناية وبخوت
فإذا نجا في كل عصر واحد | فهو المراد لحضرة وقنوت
فتح الفتوح لمن تنزه قلبه | عن رغبة الموصول والمبتوت
فيرى رسول الله جل جماله | ملأ الوجود بنوره الرحموتي
ويفوز منه بنظرة أزلية | أبدية من غير ما توقيت
لا أمن إلا بعد رؤية أحمد | فهو الملاذ وفرحة المكبوت
وهو الهداية والعناية والرضا | حقا وسر سكينة التابوت

الجوهرة الرابعة والعشرون

التفصيل

قال تعالى : ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴾ {الإسراء : ١٢} .

هذه الآية العجيبة وحدها كافية لاستيعاب كل العلوم والاكتشافات ، والفهوم والكنوز والخزائن من الأزل إلى الأبد .

فكلما اكتشف العلماء شيئاً فإن تلك الآية تخبرهم بأن هذا الشيء القريب مازال له تفصيل بعيد ، فابحثوا فيه أكثر ، فيبحثون ، فيجدونه كذلك . ففي اللحظة التي اكتشف العلماء فيها ذرات العناصر ، وظنوا أنهم قد وصلوا إلى معرفة أصغر مكونات المادة ؛ قال لهم القرآن : مادامت الذرات شيئاً ؛ فقد فصلناه تفصيلاً أدق وأصغر ، فبحثوا فوجدوا الأمر كما قال تعالى .

وسيظل العلماء يلهثون وراء تلك الآية العجيبة ، متعمقين في الصغر ، ومتوغلين في الكبر ، إلى ما لا نهاية .

وتبقى تلكم الآية الكريمة تحدياً مذهلاً ، ومحفزاً مبهراً للعلم والعلماء في كافة المجالات البحثية ، مما لا يدع مجالاً للشك في أن القرآن الكريم هو كلمة الله الباقية الخالدة ، الذي لا تنتهي عجائبه ، ولا تفرغ غرائبه ، ولا يزال كل شيء مهما تناهى في الصغر ، أو تعاظم في الكبر ، يخضع لسلطان تلك الآية الكريمة .

بل ويتلقى من الله تعالى وحي إمدادٍ ، يتناسب مع مراد الله منه : ﴿ٱلَّذِىٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَىۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ {طه : ٥٠} .

فتفصيل التفصيل يدل على مزية التفضيل . فكلما ازداد التفصيل في شيء نال مزية التفضل من الله إليه بوحي إمداد متجدد .

ومع أن شيئية الأشياء غير متناهية ، لاتصاف مشيئها بأنه الواسع ، إلا

أنها لا تخرج عن دائرة إحاطة اسمه المحصي والمحيط :

قال تعالى : ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ {الجن : ٢٨} .

وقال : ﴿ لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾ {مريم : ٩٤} .

وقال : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ {الطلاق : ١٢} .

سبحان من جعل العلوم سبيلا للعارفين وزادهم تفضيلا

ما غاب شيئ عن فهوم عباده إلا وفصله لهم تفصيلا

صعدوا لأقطار السماء ولاية وتخللوا الذر الدقيق نزولا

وترى عليهم بالمعارف هيبة ومن المحبة رقة ونحولا

لم يبصروا إلا الإرادة فاعلا والكون مقهورا بها مفعولا

وسرادق اللطف الخفي بسره يغزو الوجود إحاطة وشمولا

رأوا الوجود من الجمال مسربلا حتى القبيح رأوه منه جميلا

سمعوا لوحي الله جل جلاله في كل شيئ حكمة وذهولا

ودنت ظلال الخلد من أرواحهم فتذللت أنفاسهم تذليلا

صدقوا عهود الحب حتى أن قضوا نحبا ولم يتبدلوا تبديلا

لو أدخلوا نار الجحيم لما انثنوا عن حبه أو حولوا تحويلا

الجوهرة الخامسة والعشرون

الوسط

قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ {البقرة : ١٤٣} .

وقال ﷺ : «**خَيْرُ الأُمُورِ أَوْسَاطُهَا**» (١) .

وأوسط الوسط بين كل صفتين متضادتين هو (الصفر) .

فالصفر هو الوسط بين التطرف والتشدد ، والتسيب والانحراف .

وهو الحقيقة الثابتة القائمة بين كل الأضداد .

وهو السر الساري فى الحروف والأعداد .

١- رواه البيهقي في السنن الكبرى وفي الشعب مرفوعا ورواه الجوهري في مسند الموطأ والبيهقي في الشعب وأبو نعيم في الحلية موقوفا .

الصفر هو أحدية ذاتك .

فإذا كنت أنت فى أنت بلا أنت ، وكنت أنا فى أنا بلا أنا ، تحررت من قيد الأكوان ، وظهرت صفريتك .

وصفريتك يعنى غاية العبودية لله .

وأصبحت على أتم التأهب والاستعداد والتأهل لتلقى الأنوار الذاتية .

والصفر هو أصغر الأشياء فى مرتبة الوترية .

والله غيور على تلك المرتبة أن يوصف بها سواه .

فشفع بمعيته وترية كل وتر : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾ {الحديد : ٤} .

فالله مع خلقه ، وليس الخلق مع الله .

فالله تعالى هو الوتر على الحقيقة .

إذ ليس معه فى مرتبته أحد : «**إِنَّ اللهَ وِتْرٌ**» (١) .

١- رواه مسلم في صحيحه .

الصفر هو نقطة التقاء الإطلاق بالتقييد ، والتنزيه بالتشبيه ، والنور بالظل .

فمن تحقق بصفريته ، وصار وسطاً ، أصبحت له عينان :

- عين ينظر بها إلى الإطلاق . وعين إلى التقييد .
- عين ينظر بها إلى التنزيه . وأخرى إلى التشبيه .
- عين يلحظ بها النور . والأخرى يري بها الظل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ {الفرقان : ٤٥} .

والصفر أيضا يتوسط ظهوره بين الذنب والعفو ، والعيب والستر ، والواحدية والأحدية ، والخاص والعام .

قال تعالى : ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ {الحديد : ٢٣} . أي كن في مكانة الصفر .

الكون كله حقيقةٌ واحدةٌ بلا اتصال ولا انفصال ، ولا حلول ولا اتحاد ،

ولا اختلاط ولا امتزاج ، لأن كل هذه النسب تحتاج إلى ثبوت وجودين اثنين ، وماثَمَّ إلا الله .

فالله تعالى هو الوجود ، وهو الظاهر فى كل المظاهر .

وما أنت إلا صفرٌ ، شرفك الله تعالى بإدراجك فى منظومته الكونية ، لتحقيق إرادته الإلهية .

ومع ذلك ؛ فأنت بالكون كله ، إذ لو انعدمت ذرة واحدة من ذرات هذا الكون لانهدم الكون كله ، فذرات الكون محسوبة محصاة ، وكم فيك من ملايين الذرات أيها الإنسان !

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ {الإسراء : ٧٠} ، فالإنسان مُكَرَّمٌ من حيث ذاته وصفريته ، مُفَضّلٌ من حيث تعدد صفاته وشفعيته .

في الروح طيفك بان الجسم أو خلطا   لو شاء يمشي على خدي مشى وخطا

أقبال طلعته في عين ناظره   إقبال بدر على الليل البهيم سطا

ما باله مسرف في حسنه ولنا   قد قيل كنتم جميعا أمة وسطا

وأوسط الوسط المشهود مرتبة   صفر وبين ذوي الأضداد قد ربط

قامت حقيقته في الكون ثابتة   وسرها قد سرى من ذاتها نشطا

بين الحروف وما في الكون من عدد   سرى من الصفر نور الحق مغتبطا

ما بين قيد وإطلاق حقيقته   وبين نور وظل برزخ وغطا

وبين كل ذوي بينين برزخه   ونوره فوق ظل البين قد سقط

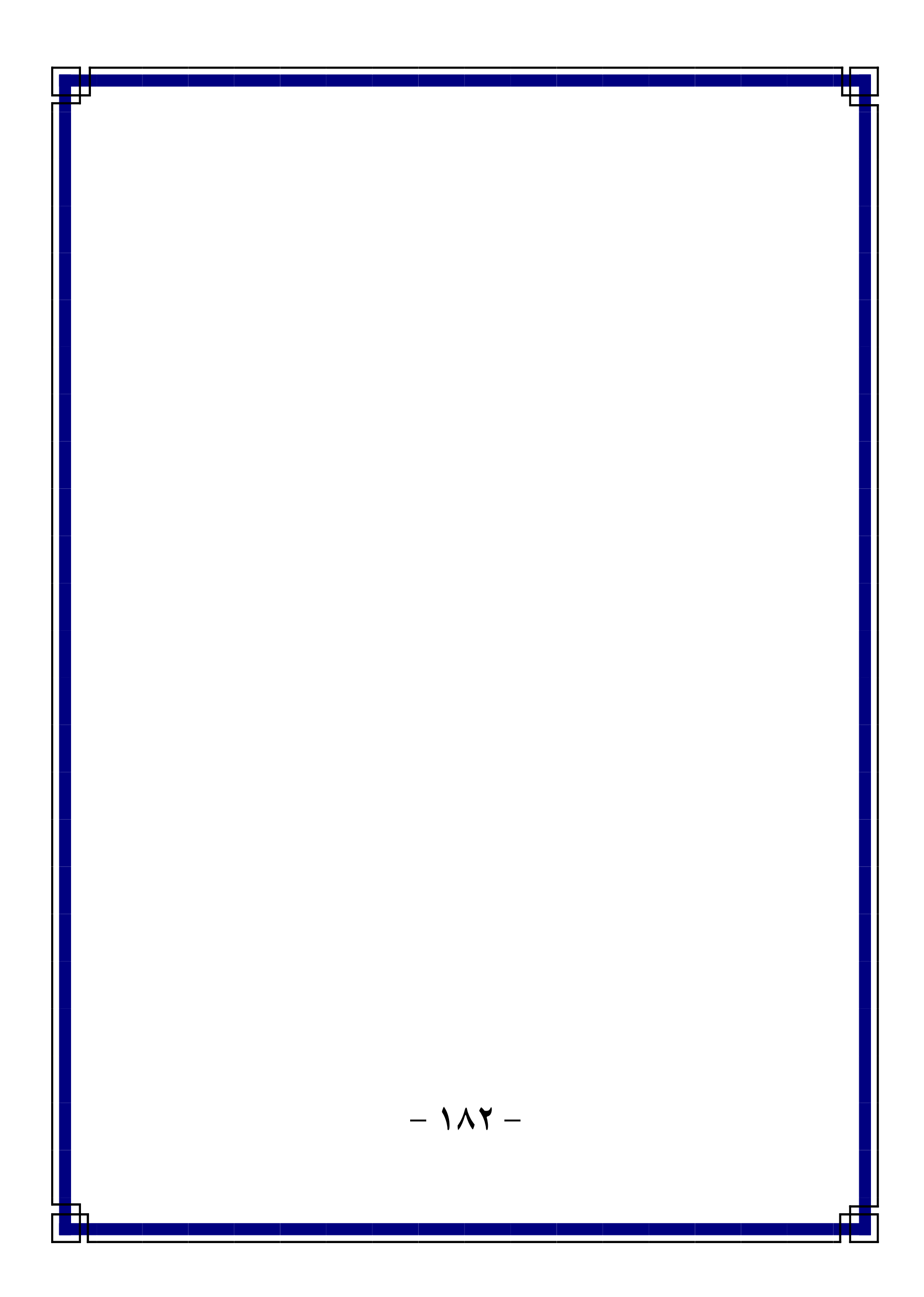
فمن تحقق كالأصفار منزلة   مد الإله له من سره بسطا

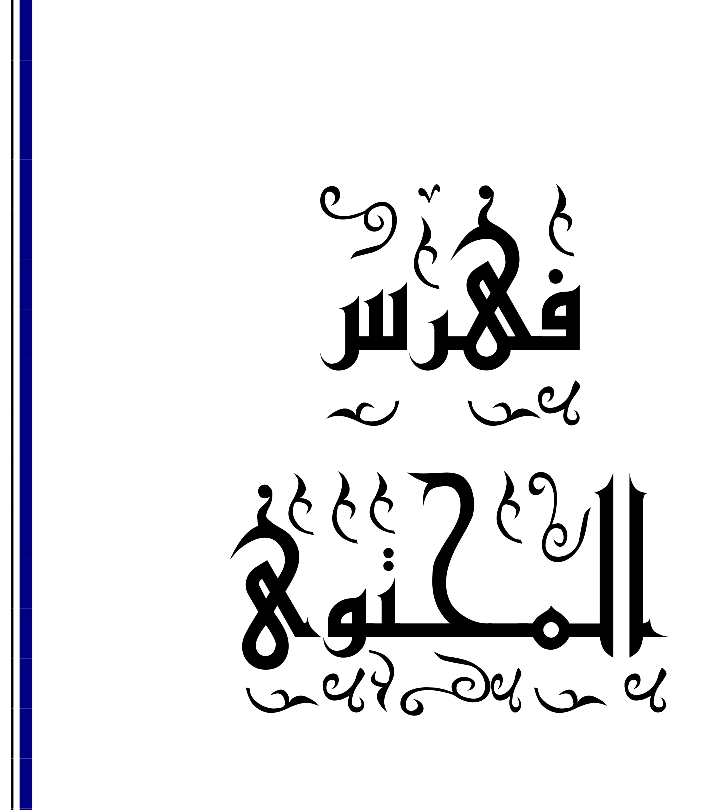
عين على كل تقييد تشاهده   وأختها في سما الإطلاق ذات وطا

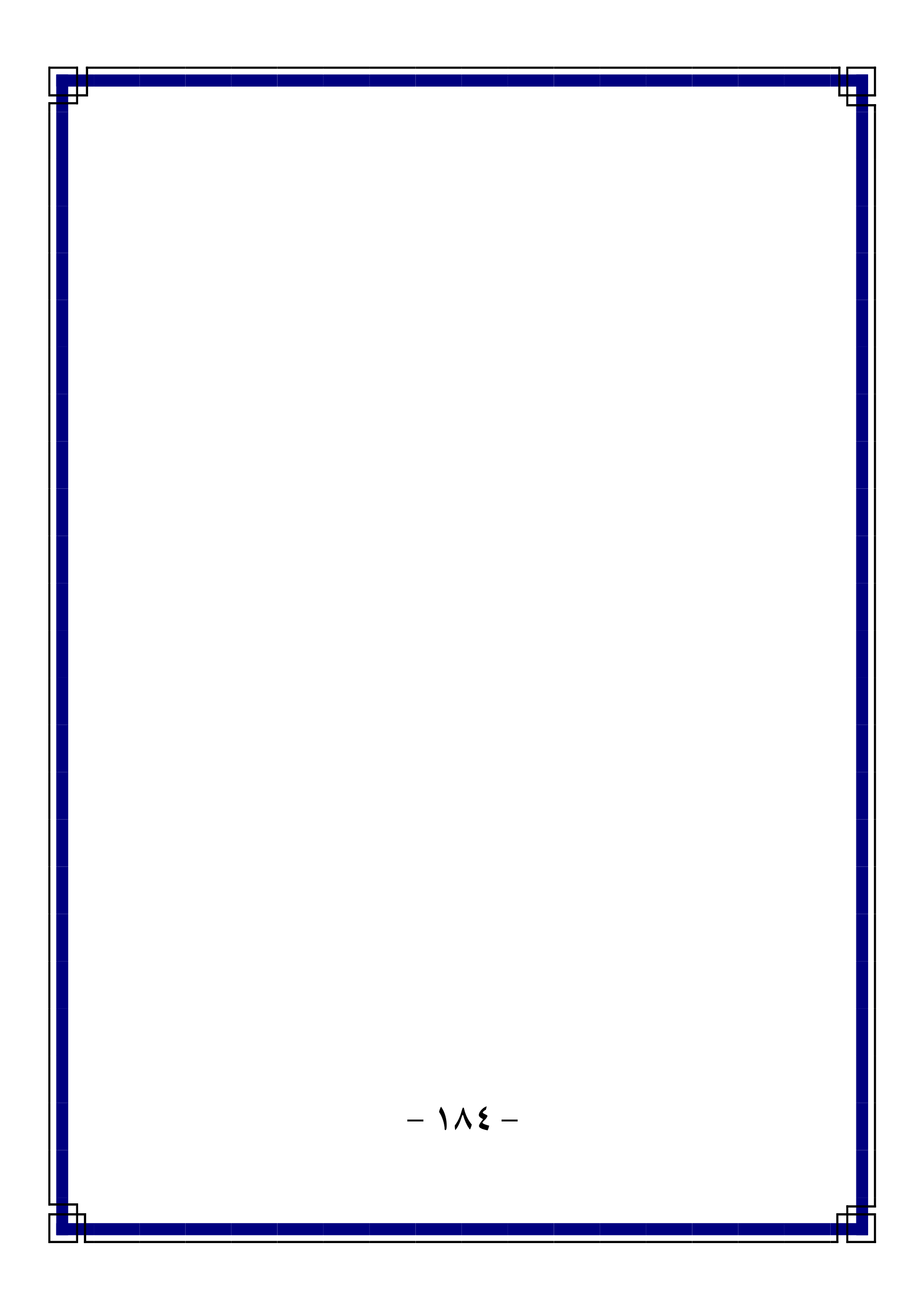
فكن كما الصفر في حال الفناء تكن   عبد الرضاء ولو في النار ما قنط

فإن تكن أنت فيها أنت منسلخا   بغير أنت تجد من نور ذاك عطا

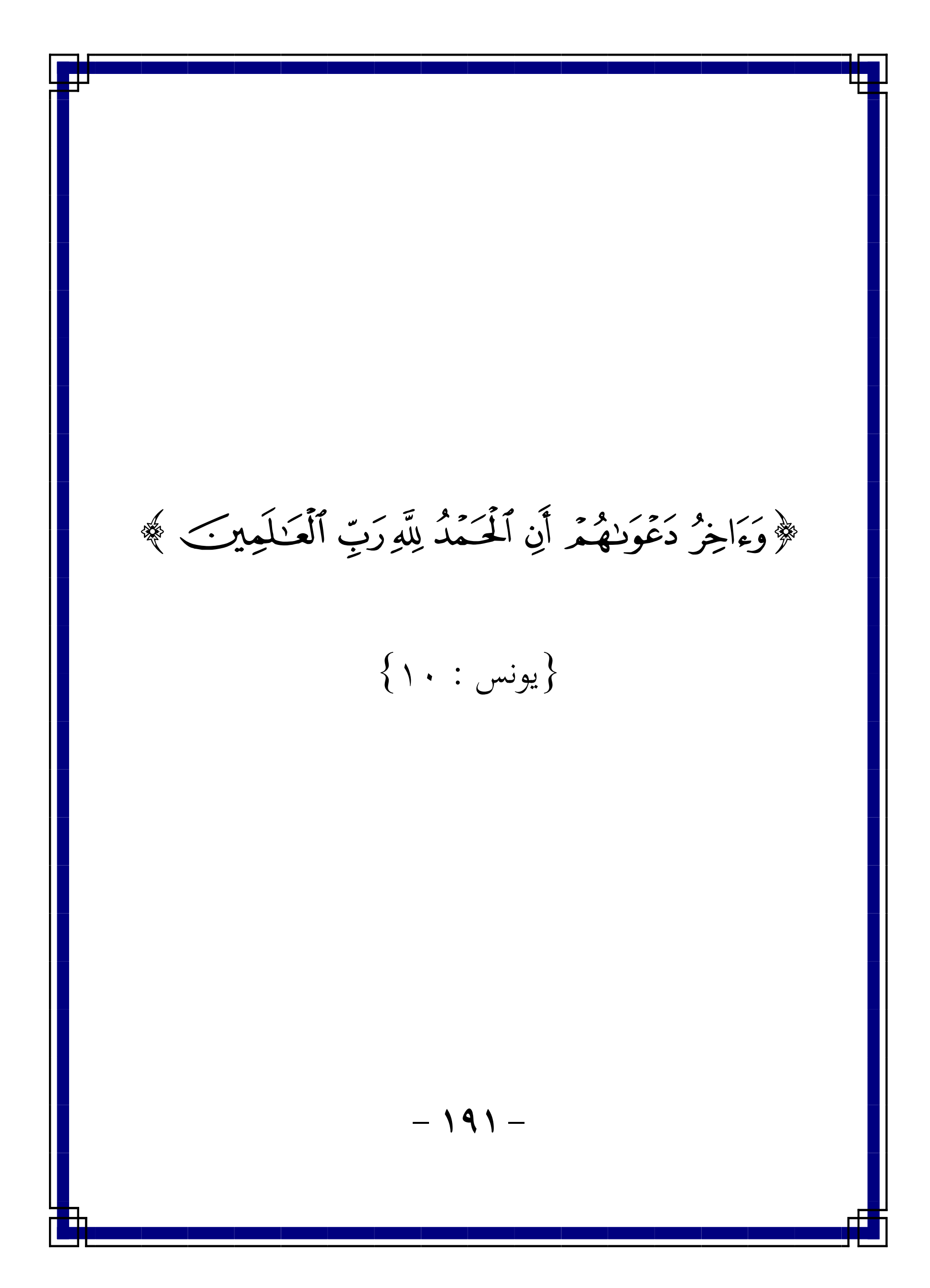
حطم قيودك تصبح صفر حضرته		واملأ من الرشد قلبا عاش مختبطا
فالصفر أصغر ما في الوتر مرتبة		مهما ترفع هذا الصفر أو هبط
كل الوجود على ما فيه من صور		وتر الحقيقة لا كذبا ولا غلطا
بلا حلول ولا فصل يساوره		ولا بمزج ووصل صار مختلطا
وأنت صفر بلا شك على كلم		مكرم فوق حرف الكون قد نقط
فلا تطع من غفا عن ذكر بارئه		بالبعد عنه وأمسى أمره فرطا




فهرس
المحتوى



فهرس المحتوى



﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

{يونس : ١٠}

تم بحمد الله وتوفيقه

كتاب الجواهر

في يوم الجمعة

غرة شهر ربيع الأول ١٤٤٠ هـ

الموافق التاسع من شهر نوفمبر ٢٠١٨ م

الزاوية التجانية المباركة بامبابة

www.sheikhsalah.com